ناصريون

وماركسيون

محمد عودة

هذا الافتراء على الناصرية والجهل بالماركسية

اهداءات ٢٠٠١

ا.د. محمـــد ديـــــاب

جراح بالمستشفى الملكي المصري

ناصريون .. وماركسيون

هـــذا

الافتراء على الناصرية والجهل بالماركسية

محمـــد عــودة

هذا رد على الدكتـــور فؤاد زكريا ، وعــلى كل الاســـاتذة والدكاترة الذين يحتــرفون تأييد كل النظـــم والهجـــوم عــلى نفس النظـــم ٠٠

محمد عودة

ليس هناك يسارى يحمل مسئولية والتزام اليسار فى مصر بأى معاييره ، يرى أن هذا هو أنسب الاوقات لإثارة قضايا وخلافات سويت من زمن طويل بين أهم قوى اليسار وأجنحته ٠

ولليسار مثله مثل كل العقائد والمذاهب خلافاته وصراعاته الفكرية والسياسية ولكن ما يجمعه خاصة فى الشدة أكثر مما يفرقه ٠٠ وليس هناك بين اليساريين والناصريين أو الماركسيين أو الوطنيين التقدميين والراديكاليين من يمكن أن يجد أن هذا هو وقت مراجعة الحسابات وتصفيتها فيما بينهم ، والانتهاء الى نتيجة قاطعة قاصمة هى ادانة اليسار جميعه وأهم فرقه ٠

وذلك لأن الاشتراكية وهى قضية ومبرر حياة كل اليساريين فى محنة وتتعرض لهجمة ظالمة وعاتية فى مصر وهو ما يحتم على كل اليساريين من كل الفصائل والمذاهب أن ينسوا خلافاتهم ويتناسوها ليقفوا صفا واحدا دفاعا عن القضية الكبرى ٠

ان اليمين المصرى وكل قوى الثورة المضادة تشن حملة ضارية تهدف منها الى تصفية الاشتراكية كفكر أو تطبيق وأن تخرب القدر الذى تحقق منها ، ثم تعيد البديل الوحيد عنها وهو الرأسمالية ٠

وقد بدأت الحملة على مراحل ، وأثارت فى البداية عيوب

التطبيق وان الاشتراكية لا اعتراض عليها ولكن النقص كل النقص هو فى الأسلوب الذى طبقت به والذى سبب كل الشكوك والمشاكل ، وفصلت الاخطاء وضخمت وكررت حتى اختلط الأصل بالفرع •• وانتقلت الحملة الى مرحلتها الاخرى وأن العلة لم تكن فى التطبيق ولكن فى الاختيار ذاته أى الاشتراكية وقد استوردناها وتعجلناها وفرضناهافرضا فى غير وقتها وغير أرضها وعلى شعب لا يتقبلها وغير مستعد لها وكان محتوما أن تتعثر وتنحرف وتنتهى الى الفشل الكبير •

واقترنت الحملة بتقديم البديل •• وبدأ هذا بدوره على مراحل •• أولها الدعوة الى انصاف القطاع الخاص الذى ظلم وغبن والذى لم يمنح الفرصة ليقوم بدوره وهو دور أساسى ثم المفاضلة بين القطاع العام الفاسد الذى تتحكم فيه البيروقراطية والروتين ولا يبالى بمصالح الوطن والناس وبين القطاع الخاص الذى يضطرم حيوية ونشاطا وحماسا للمغامرة والابتكار والتجديد والذى لابد أن تكون له ــ بمقتضى هذه المواهب والحوافز ــ الاولوية •

وبلغت الدعوة ذروتها فى المطالبة بتصحيح الامور ورد الولاية الى القطاع الخاص ، بأن تزال كل القيود أمامه وأن يشارك فى ملكية وادارة القطاع العام وأن ينتهى به الامر الى قطاع حكومى ومسخر لخدمة الرأسماليين فى

القطاع الخاص .

ووقف أحدهم فى مجلس الشعب وسط ممثلى التحالف ليعلن أن من حقه وحق أى مواطن أن يثرى ويجمع المال كما يشاء بل وان من حقه أن يحرق أمواله لو أراد .. وهذه حرية لا توجد فى قلاع الرأسمالية فى العالم .

وفى ظل هذه المواجهة الحامية بين التقدم والانتكاس والتى قد تقرر مصير كل شىء لايمكن أن يكون مقبولا أو مغفورا لاحد - يعلن عن نفسه انه من صفوف اليسار - أن يثير ويفتعل خلافا بين اليساريين لا يرحب باثارته ولا يفيد منه سوى الطرف الآخر المتربص والمتوحش .

وقد يكون التزاما ضروريا على اليساريين جميعا فى هذه الاوقات أن يأخذوا مواقعهم وأن يحددوها تماما ويصححوها وقد يكون عليهم أن يمارسوا أكبر قدر من النقد الذاتى أو النقد المتبادل ولكن على أن يكون ذلك بما يعزز تكاملهم وتضامنهم ومن أجل اشتراكية أفضل فكرا وتطبيقا ومن أجل اشتراكية أنسب لواقع معقد ومعركة طويلة ممتدة .

ولا يمكن أن يوصف بالبراءة أو الحكمة أن يضع فيلسوف يقول أنه يسارى كل مسوحه وأن يقف فوق منصة ناظرا من أعلى ليعلن بكل الثقة أن ما حدث فى مصر لم يكن

ثورة ، وأن لم تقم ديموقراطية أو اشتراكية وان لم يكن هناك اشتراكيون أو ثوريون • وان ما سمى بالناصرية لم تكن الافاشية أهدرت حرمات مصر والمصريين وسحقت روح الانسان المصرى •

لقد زيفوا — الناصريون — الاشتراكية وابتذلوها ، ولم يتعدوا فيما حققوه وان أضافوا طبقة مستغلة جديدة الى الطبقات القديمة •• بحيث أصبح عمقها وعرضها ٥٪ بعد أن كانت نصف فى المائة ولا شىء آخر •

ولا يمكن أن يكون حرصا على اليسار وحفاظا على اصالته ورسالته من طرف نفس الفيلسوف أن يقف ليقرر بما لا يقبل الشك ، ان الجناح الآخر للاشتراكية والاشتراكيين، وهم الماركسيون، قد ارتكبوا أكبر الخطايا وأفظعها بأن خانوا قضية الاشتراكية وخدعوا أنفسهم والناس حولها •• وباعوا مبادئهم وأشخاصهم رخيصة ، حين وضعوا أيديهم فى أيدى الناصريين وباركوا النظام الذى قام وأيدوه باسم الاشتراكية •

ويلقى الاستاذ هذه النتائج الجامعة المانعة بتجاهل كامل وجهل أيضا بأوليات العلم السياسى والواقع القومى وضد بديهيات الفروق والمواصفات بين النظم والمذاهب التى لا يعلم عنها ما يكفى •

وهناك ظاهرة جديدة ، فريدة فى مصر ، وهى انتحال

مفكرين ليبراليين ممن ينتمون فى آخر المطاف الى صفوف اليمين •• لصفة اليسارية المفرطة وتقربهم لليسار الماركسى لكى يلوموه ويعاتبوه ثم يبصروه بأخطائه وعثراته •• وأهمها وأشدها تحالفه ذات يوم مع الناصريين واصراره حتى اليوم على هذا التحالف •

ومنذ بضعة أشهر وجه الاستاذ توفيق الحكيم رسالة خاصة منه الى اليسار المصرى •• تكاد تكون نسخة طبق الاصل من « ملحمة » الدكتور فؤاد زكريا وتثير نفس الحجج والذرائع حرفيا •

وتمتد هذه الظاهرة الى دوائر كثيرة يمينية وبيروقراطية لا يفوق كرهها للاشتراكية الناصرية سوى حقدها على الشيوعية « الماركسية » ولكنها تقيم نفسها — فجأة — ناقدة وناصحة للماركسيين تنبههم الى أنهم ارتكبوا أكبر أخطائهم ذات يوم بالتحالف مع العهد الناصرى وانهم يضاعفون هذا الخطأ بالدفاع عنه اليوم وتأكيد ماحققوه، بينما الموقف الصحيح « ماركسيا » هو أن ينضموا اليهم فى هجومهم لازالة كل آثار ذلك العهد وتصفيته تماما لكى تقوم الحرية والديموقراطية ويشاركون فيها •

وقد يكون السيد الدكتور نقيا كالبللور طاهرا كابتسامة الملاك ولكنه شاء أم أبى يقف مع هؤلاء ويقدم لهم أثمن الخدمات •

واليمين فى مصر قوة معلقة ومهلهلة بلا جذور ولا أمــل أو مستقبل ، وهم يعيشون فى قلق متصل يوما بيوم •• وفى افلاس فكرى وسياسى شامل ليس لديهم ما يقدمونه أو ما يقنعون أو يخدعون به أحدا •

وقد تجاوز المشاكل والقضايا كل الحــلول الى اليمين اذا كانت هناك حلول ، وتقدم الوعى الوطنى والاجتماعى ، ببعد شاسع كل حجج ومقولات البورجوازيين والاقطاعيين قوى حكم عليها الواقع والتاريخ •

ولهذا يلجأ اليمين المصرى الى وسيلة مستوردة لعلها الوحيدة الباقية وهو يستورد من الغرب الصـــيغة التى استطاع بها البورجوازيون الغربيون أن يؤجلوا نهــاية النظام لبعض الوقت •• وهى شق صفوف اليسار واذكاء صراعاته وخلافاته الداخلية لتستغرقه وتستهلكه وتشغله عن العدو الحقيقى •

وحينمـــا ظهرت وازدهرت الحركة النقابية فى أوائل القرن الماضى •• واعتنقت المبادىء الاشتراكية والثورية ، وهددت النظام الرأسالى كله ، عمل الرأســـماليون بكل ما استطاعوا على اشاعة الخلاف والفرقة فى صـــفوف النقابات •• نقابات اصلاحية ونقابات ثورية ونقــابات مسيحية •• وأغرى الرأسماليون شريحة من العمـــال غمروهم بالامتيازات والمزايا وخلقوا منهم « ارستقراطية

عمالية » كما سميت كانوا اداة الرأسمالية المطيعة فى البطش بالعمال أو تضليلهم ٠

وفى مواجهة الحركة الاشتراكية الدولية التى ضمت كل الاشتراكيين فى مواجهة الرأسمالية والامبريالية العالمية والتى جمعت عمال الغرب المستغلين أو شعوب الشرق المستعمرة التى أعلنت أن قضيتهم واحدة وأن طريق خلاصهم واحد ٠٠ هو الاشتراكية ٠٠ سخر الرأسماليون كل مايملكون ويستطيعون ولعبوا دورا أساسيا فى انشقاقها انشقاقا كبيرا قبل الحرب العالمية الاولى الى اشتراكيين ديموقراطيين ٠٠ يرفعون شعارات الوطنية والديموقراطية والى ماركسيين ثوريين اتهموا بالأممية والعنف والديكتاتورية ٠

وبعد الحرب العالمية الثانية وانتصار الاشتراكية فى مجموعة من الدول الكبرى والصغرى فى أوروبا وآسيا ، وبعد انتصار ثورات التحرير الوطنية فى أهم المستعمرات وبعد انتشار الافكار والمبادىء الثورية والاشتراكية فى ارجاء عديدة وبعيدة من العالم ، تضاعفت حاجة الرأسماليين وأصبحت ضرورة حياة أو موت أن يبثوا الخلاف والفرقة ويشيعوهما فى صفوف اليسار ٠٠ فى الغرب أو الشرق أو العالم الثالث خاصة فى هذا العالم !

ولازال العالم الثالث هو مصدر القوة والثروة ، وبعد تحرره وبعد انتقال الثورة فيه الى المطالب الاجتماعيـــة وتطلعها الى الاشتراكية أصبح ضروريا للرأســـــمالية والاستعمار الجديد أن يصدرا « لعبة اليســـــار » على أوسع وأبرع مدى الى أهم بلاده ، وأقبلت قـــوى الثورة المضادة المحلية على تعلم أصول اللعبة بحماس •

وفى الغرب مثلا •• قهر اليساريون الفرنسيون خلافاتهم الحقيقية والمصطنعة وهى التى أخرت الثورة فى بلد كان مقررا أن يكون طليعة الثورة ، والاشتراكية فى أوروبا •• وكانت كل المقومات ناضجة بعد الحرب العالمية الثانية •• وقام ائتلاف من الاشتراكيين والشيوعيين حول برنامج عام مفصل خاضوا به الانتخابات واستطاعوا أن يكسبوا نصف الناخبين وأن يقفوا على مشارف السلطة فى انتخابات رئاسة الجمهورية •

واعتبر ائتلاف اليسار الفرنسى أخطر تحدى واجهتـــه البورجوازية الفرنسية عامة ، وتجمعت لمقاومتـــــه كل أجنحتها •• من البورجوازية الاطلنطية المؤمنة بالولايات المتحدة والحلف الغربى الكبير الى البورجوازية الوطنيـــة الديجولية المؤمنة بفرنسا وأوربا المستقلة بل وساندتهم كل البورجوازية الاوروبية والامريكية وذلك لان قيـــام فرنسا الاشتراكية الديموقراطية وفى ظل حلف، يســـارى

شامل هو ثورة فرنسية اشتراكية سوف تطيح بهم ولابد أن تعم أوربا كما فعلت الثورة الفرنسية الاولى •

وفى ايطاليا أصبح الحزب الشيوعى الايطالى ، بنظرياته وتطبيقاته المستقلة والحكيمة هو القوة الاساسية الثانية بعد الحزب الديموقراطى المسيحى ، وهو القوة التى تقدم البديل والامل • وقد حكم الديموقراطيين المسيحيون ايطاليا أكثر من ربع قرن منذ نهاية الحرب العالمية الثانية •• ولكن انتهت ايطاليا تحت حكمهم الى أن أصبحت « رجل أوربا المريض » كما تسمى ، وتطلعت جماهير كبيرة الى الحزب الكبير الآخر والقادر وهو الحزب الشيوعى •

وفى آسيا •• خرجت الهند بعد الاستقلال تبشر بأن تكون قيادة الثورة الآسيوية عامة • وتقدم مثلا يحتذى للدولة والمجتمع الاسيوى الديموقراطى الاشتراكى •

ولكن دب الصراع واستفحل بين حزب المؤتمر وبين الشيوعيين وبينه وبين الاشتراكيين وانقسم الحزب الى يسار ويمين •• ثم انقسم الحزب الشيوعى الى عدة أحزاب ثم انقسم الاشتراكيون الى سلسلة أحزاب وتنظيمات ودارت الهند فى حلقة مفرغة •• وتعثرت فى خطوات ثقيلة بطيئة •• وازاء مشاكل هائلة تلح فى الحلول •

وأرادت انديرا غاندى أن تعيد بناء حزب المؤتمر وأن تطرد الرجعية منه وأن تعيد له ذاتيته ومكانته ، وأن تضم اليه من خرجوا أو انسحبوا منه وأن تقيم تحالفا لاوسع مدى مع القوى اليسارية والتقدمية الاخرى .. لتنهض بالهند وتكمل المسيرة .. وقام تحالف بين حزب المؤتمر وبين الحزب الشيوعى الهندى .. هو قاعدة الاستقرار الآن فى الهند .. ولكن تنصب عليه كل الحملات والهجوم .. وبينما تتهم انديرا أنها تسلم الحزب والسلطة للشيوعيين .. تتهم هؤلاء من الجانب الآخر انهم باعوا أنفسهم للبورجوازيين .

ولم يأت الدكتور فؤاد زكريا بجديد !

وفى آسيا أيضا كانت بورما بعد الحرب العالمية الثانية هى شرارة القارة الملتهبة وكان السؤال هل تكون « بورما » بحرارتها وحيويتها أم الهند بحكمتها وقوتها هى القيادة الاولى فى آسيا .. ولكن مالبثت الصراعات والخلافات والمعارك الايديولوجية والمسلحة ان شتتت صفوف الاحزاب الوطنية والاشتراكية والماركسية .. وأصبحت بورما تضم أكبر عدد يمكن أن تضمه دولة صغيرة من أحزاب عاجزة متحاربة .. وأصبح تاريخها هو حرب أهلية دائمة واختفت تماما من خريطة آسيا السياسية ..

ولابد ان تتعلم مصر وتستخلص كل هذه الدروس لا ان

تكررها أو تزيد عليها ، وخلافات اليسار فى مصر بيزنطية اكاديمية « غير ذات موضوع » وفق الوصف المشهور •
وقد وقف أنجلز يؤبن ماركس يوم وفاته وقال : « أن أعظم اكتشاف قام به كارل ماركس انه اكتشف ان الانسان لابد له ان يأكل ويشرب وينام تحت سقف لكى يفكر ويتفلسف ويتدين » وهذا هو جوهر الاشتراكية والذى يتفق عليه الناصريون والماركسيون والوطنيون التقدميون، أو مايجب ان يتفقوا عليه فى بلد لا يحلم ٩٩٪ من أهله بأكثر من هذا •

واشد مايثير جزع اليمين فى مصر هو ان تتحد قوى اليسار حول هذه القضية وان تبدع الافكار والحلول الخصبة والخلاقة •

لا شىء يثير قلق وفزع اليمين فى مصر مثل ان يتفق الناصريون بشعبيتهم وجماهيريتهم مع الماركسيين بفكرهم وتجاربهم • وان يتشرب الناصريون تراث وتطبيقات الماركسية فى اطارهم القومى • وان ينضم الماركسيون وينصهروا فى المجرى العام للثورة المصرية وكل التراث المصرى والعربى وان تقدم مصر الفيض المبتكر والأصيل الذى تقدمه دائما •

ولا يكل اليمين عن السعى المتصل المحموم لكى يمنع قيام هذا الحلف ، وهم يلعنون الناصرية والناصريين على كل المنابر ولكنهم يستديرون ليطبعوا قبلة الموت على

وجنات الماركسيين وهم يستميتون فى محاولة انتزاع الماركسيين لأن ينضموا اليهم فى تصفية الناصريين ، وبعدئذ يستديرون لتصفيتهم أو ابقائهم قوة سياسية نظرية معزولة مع توازن تحكمه البورجوازية بدقة .
والخلافات والصراع الذى نشب ذات يوم بين الناصرية والماركسية لم يكن بدعة أو خرقا لقوانين التاريخ .. والصراع بين المذاهب والعقائد وفى داخلها هو تاريخ الحياة الروحية والفكرية للانسان .

ومع الصراعات المفتعلة تقوم وتثور صراعات حقيقية قد تدوم لوقت طويل أو قصير ، وتحل حلولا ايجابية بتفاعلات ومصالحات تثرى وتخصب فكر وممارسة كلا طرفى الصراع .

ومهما يكن الصراع الذى نشب ذات يوم واشتد بين عبد الناصر والماركسيين الا انه كان صراعا وخلافا بين ثوار وكان أيضا أقل حدة وعنفا من الصراع داخل حزب شيوعى واحد أو حزب اشتراكى واحد . وقد كان طبيعيا وحتميا بالقدر الكبير المشترك من الصدق ومن الايمان بالثورة ان ينتهى الى تكامل وتعايش فى اطار الثورة المصرية الكبير .

وحينما حمل احد أقطاب الثورة واليسار الماركسى الى عبد الناصر قرار الماركسيين بالاندماج فى الثورة ، وحل الحزب الشيوعى المصرى قال له عبد الناصر على الفور

« الآن نستطيع ان نبنى الحزب الثورى الذى يضمنا جميعا » .

والصراع بين قوى الثورة وفرقها المختلفة يحل عادة حلولا تتوقف على ميزان القوى فيما بينها ، وعلى قوة وقدرة وشعبية كل منها .

واذا كان الماركسيون المصريون قد انتهوا الى الاندماج الكامل فى المجرى العام للثورة المصرية فان هذا لم يكن استسلاما أو استيعابا ، ولكن كان تقديرا صحيحا لميزان القوى ورؤية حكيمة سليمة لطريق المستقبل .

والماركسيون المصريون فى صفوف الثورة لم يكونوا ذيلا ولكن رافدا هاما اضاف الى قوتها واصالتها وأثر فيها بقدر ماتأثر بها .. وقد سد الثغرة فى الوحدة الوطنية والفكرية لمصر .. وليس هذا بالشىء الجديد المستحدث على الوطنية أو على الماركسية .

وقد كان أول نموذج للتحالف بين الوطنيين والماركسيين فى الشرق فى الصين فى بداية الثورة بعد الحرب العالمية الاولى .

وكانت الثورة يومئذ بقيادة الزعيم « صن يات صن » ، وكان أول زعيم اسيوى ادرك ماتعنيه الثورة الروسية والنظام الجديد الاشتراكى بالنسبة لتحرير الصين .. وآسيا عامة ، وأقام أول تحالف وثيق بين الثورتين وبين البلدين . !

وقد كون « صن يات صن » حزب الكومنتاج الوطنى ، وقرر الشيوعيون الصينيون الذين الفوا حزبهم فى أوائل العشرينات قبول دعوته للانضمام الى الحزب الوطنى ، ولكن كافراد عاديين واعضاء عاديين وبغير عضوية مزدوجة أى بعد ان يتخلوا تماما عن عضوية الحزب الشـــيوعى وبهذا التحالف والاندماج •• جرفت الثورة كل الصــين وتحققت وحدتها الوطنية •

ولعله لو عاش صن يات صن وقتا اطول ، ولم ينتكس تشيانجكاى شيك بالثورة ويفض التالف لا ستمر واخذت الصين طريقا آخر خلاقا نحو نفس الاهداف •

والعلاقة بين الوطنيين والماركسيين تختلف من بلد الى آخر وفق الواقع والتراث وعلاقات القوى ، ولكن تحكمها كلها قوانين ومبادىء ماركسية تلزم الماركسيين ان يقفوا وقفة كاملة مع أية ثورة وطنية تقاوم الاستعمار حتى ولو كانت قيادتها وبرامجها بورجوازية • وقد كتب ســـــتالين فى دراسة مشهورة له عن اللينينية سنة ١٩٢٠ : « ان أمير افغانستان الاقطاعى الذى يقاوم البريطانيين قوة تقدمية نؤيدها كماركسيين • والثورة المصرية التى تقودهـــــا البورجوازية المصرية (ثورة ١٩١٩) ثورة تقدميـــــــة نؤيدها كماركسيين ، ولكن حزب العمال البريطانى الذى يقمع الثورات الوطنية فى آسيا وأفريقيا هو قوة رجعيـــة نقاومها مهما رفعت من لافتات عمالية واشتراكية » •

وعلى هذا الاساس « الايديولوجى » ايد الاتحـــاد السوفييتى منذ قيامه وحتى الآن ثورات التحرير الوطنية فى آسيا وأفريقيا .

وقد ينكر الاستاذ الدكتور على عبد الناصر كل فضل أو مزية ، ولكن عبد الناصر باجماع الاسيويين والافريقيين، مثل العرب والمصريين كان أحد أبطال العصر والنضـــال الوطنى ضد الاستعمار ومن اجل الاستقلال والحرية .

وقد كان على الماركسيين المصريين وفقا لاول بديهيات الماركسية ان يتقبلوا قيادته وان يسيروا خلفها خـــلال معاركه الفاصلة ، ولم يكن ذلك تبعية ولا ذيلية ، ولكـــن ماركسية صحيحة !

والثوار ، وطنيين أو ماركسيين ، لا يرون العالم من خلال مصـــالحهم مثل البورجـــوازيين أو من خـــلال ذاتهم مثل المثقفين النرجسيين ، ولكن يرون حركة التاريخ وقوانينه ويقدمون الثورة على كل اعتبار آخر !

وحينما وقع الانقلاب الرجعى فى كمبوديا سنة ١٩٧٠ ، كانت العلاقة بين سيهانوك والماركسيين تمر بأزمة حـــادة لا تقل عنفا عن الازمة بين عبد الناصر والماركسيين فى نهاية الخمسينيات .

وعرض النظام الانقلابى على الماركســـــيين هناك ان يؤيدوه مقابل حرية العمل والحركة وبعض المناصـــب .. ان تكون لهم شرعية ونفوذ فى الحكم .

ولكن برؤية صحيحة وعملية للاحداث ومسار التاريخ رفض الماركسيون العروض ، بل ذهبوا من اللحظة الاولى يندددون بما وقع ويكشفون طبيعته الحقيقية .

وأرسل الماركسيون الى الامير سيهانوك الذى أعلن من الخارج بدء المقاومة لاسقاط الانقلاب — بيان تأييد — هو وثيقة سياسية ثمينة وفريدة أصبحت من تراث الثورة فى كل آسيا أعلن الماركسيون بدء صفحة جديدة ومبايعتهم لسيهانوك زعيما وقائدا للشعب وللمقاومة .

وتكونت فى المنفى حكومة مقاومة هى « الحكومة الملكية للوحدة الوطنية برئاسة سيهانوك »

وتكونت فى الداخل جبهة وطنية من كل القوى الوطنية والمناضلة تحت قيادة سيهانوك . وتكون جيش تحرير جديد للحرب الثورية ، كان قائده الاعلى سيهانوك .

واستمرت المقاومة خمس سنوات تكللت فى نهايتها بانتصار تاريخى . واجتمعت الجبهة بعد سقوط الانقلاب وتحرر كمبوديا وقررت مبايعة سيهانوك من جديد رئيسا للدولة وزعيما لكمبوديا . !

ولهذا تغدو سذاجة قاصرة ان لم تكن مغالطة متعمدة ان يقال ان تصالح الثورة والماركسيين فى مصر كان صفقة أو خدعة أملتها ظروف دولية .

ونود ان نسأل الاستاذ الدكتور ما هو الموقف النوزجى الذى كان يجب على الماركسيين ان يقفوه مع عبد الناصر ،

وهو يملك من حوله الجماهير المصرية والعربية وتؤيده الى آخر مدى المعسكر الاشتراكى والحركة الثورية الدولية ، وتمجده جبهة العالم الثالث الاسيوية الافريقية كــــأحد ابطالهـــا •

هل كان واجب الماركسيين حينئذ ان يعلنوا المقاومة ضده وان ينددوا به أمـــام كل هذه القوى والملايين •• واذا كان هذا ماينبغى فلماذا لم يجاهر به الدكتور وينصحهم يومئذ ، وقد كان عالى الصوت فى منبر من أهم منابر الفكر يرأس تحرير مجلة « الفكر المعاصر » !

ولعل الاستاذ الدكتور لا يعرف قصة اخرى ،ان المبادىء الماركسية تقضى بان ينتهى التحالف بين الماركســـيين وبين الوطنيين الثوريين بعد ان يتحقق الاســـتقلال ويتســـلم الوطنيون السلطة ويقيموا الدولة « البورجوازية » وتبدأ حينئذ بالنسبة للماركسيين معركة الثورة الاجتماعية وأقامة الاشتراكية ، والانتقال بالثورة مرحلة أخـــرى يحملون تبعاتها وقيادتها •

ولكن حدث ان قدم عبد الناصر نموذجا فى الزعامــــة الوطنيـــــة والثورية ادى الى تغيير جوهـــــرى فى الفكر والاستراتيجية الماركسية فى كل دول العالم الثالث •

فقد اختار عبد الناصر الاشـــتراكية ، وبعـــــد تحقق الاستقلال رفض الرأسمالية وأعلن الاشتراكيـــــــــــة العلمية •

وكانت ظاهرة جديدة استغرقت اعمق البحث والجدل فى الاتحاد السوفيتى وبلاد المعسكر الاشـــــتراكى ، وفى الحركة الدولية ، وانتهى بالخط الفكرى والسياسى الجديد الذى كان عبد الناصر رائده الاول ، وقال عن هذا الخط انه اذا ما اختارت القيادات الوطنية الثورية فى البلاد التى تحررت الاشتراكية فان على الماركسيين ان يكملوا المسيرة والتحالف معها وتحت قيادتها ولبناء المجتمع الاشتراكى الجديد النابع من تراث وخصـــــائص وظروف كل بلد .. ويستمر التحالف كما بدأ وفق الواقع وميزان القوى الخاصة فى كل بلد .

وقد كان واجب الدكتور المتجرد المنزه عن الاغراض ان يصحح معرفته بعض الشىء بالماركسية قبل ان يصـــــدر حكما بادانة الماركسيين المصريين !

ولكن هل كانت الناصرية ذاتها فاشية ســـــحقت مصر والمصريين ، وكأن على الماركسيين ان يقاوموها كما يقول الدكتور ، أم كانت ثورة وطنية اشتراكية حررت ملايين مصر المسحوقة وعلى الماركســـــيين ان ينضـــــموا اليها ويؤيدوها .

وهل كان عبد الناصر ديكتاتورا على الماركسيين ان يقفوا فى وجهه أما كان بطلا قوميا عليهم ان يبايعوه ويتبعوه .

ان نقد فيلسوف مفكر للثورة أو تقييمه لهـــا يجب ان يكون نقدا علميا قائما على منهج وموقف ورؤية واضحة ،

ولابد ان يبدأ بنقد فكر الثورة ثم تطبيقاتها وسياساتها وبهذا يستطيع ان يكشف عن طبيعتها ، فاشية كانت ، أم اشتراكية .. وهل كانت متناسقة متكاملة نظريا وعمليا أم كانت منفصلة زائفة .

وللناصرية فكرها الذى سجلته مواقفها ، وكان بحثا متصلا وخلاقا عن مصر وعن افضل طرق ومناهج الخلاص وتطور هذا الفكر من منشورات الضباط الاحرار قبل الثورة الى اعلان المبادىء الستة بعد نجاحها مباشرة الى كتاب فلسفة الثورة فى منتصف الخمسينات الى نقطة التحول فى الميثاق الوطنى واعلان الاشتراكية ، ثم بيان ٣٠ مارس بعد النكسة وبداية الثورة على الثورة .. وفى النهاية مناداة عبد الناصر بثورة ثقافية كاملة قبل وفاته بقليل !

وقد كان للثورة خطوطها السياسية الثابتة وتطبيقاتها ، اجلاء الاستعمار القديم ، وصد الاستعمار الجديد وتأمين استقلال مصر وسيادتها الكاملة ، وذلك بالاندماج بقوى الثورة العربية وقيادتها والالتحام بقوى الثورة الاسيوية الافريقية ضد الاستعمار والقيام بدور طليعى فيها ، ثم التحالف مع قوى الثورة الاشتراكية العالمية .. تحالفا متكافئا فى اطار الاهداف والمصالح المشتركة .

وفى الداخل كان للثورة هدف واحد هو تصفية المجتمع القديم المستغل واقامة مجتمع جديد يحقق العدل والرخاء

والحرية والخبز معا •• واثبتت تجربة الثورة انه لا يتحقق الا بالاشتراكية •

ونقد الثورة يبدأ من مسح ماحققته وما لم تحققه بالدراسة وبالحقائق والاحصاءات ، ولكن الأستاذ الدكتور قدم بدلا من هذا نقدا فريدا هو خليط مبتور من دعاوى رجعية يمينية ودعاوى طفولية يسارية أيضا ، ومن أحكام قاطعة هو وحده الشاهد عليها ومن نتائج حاسمة بلا مسببات أو مقدمات وباسم الموضوعية المطلقة •• والمثلى !

وهناك مقياس واحد لنجاح الثورة أو فشلها ولاصالتها أو زيفها بالنسبة للمصريين •• وهو ماحققته للقضية المصرية وهى قضية محورها وجوهرها تحرير مصر •• وهو الحلم التاريخى لكل المصريين والذى توارثوه جيلا بعد جيل ، وثار وانتفض لاجله الملايين ، وسجن وعذب واستشهد فى سبيله عشرات الالوف •

الثورة التى تثبت نفسها هى التى تحرر مصر ••ولم يكن تحرير مصر بعد الحرب العالمية الثانية ، ثم بعد قيام الثورة تبعة سهلة • كان أعسر واعقد منه فى أى مرحلة أخرى من مراحل كفاحها ••كان الاستعمار القديم البريطانى أشد تشبثا بالبقاء من أى وقت آخر •• وكان الاستعمار الجديد الامريكى متربصا ومتلهفا على الحلول ، وكان العالم منقسما الى كتلتين تتصدر كل منهما دولة أعظم •

وبينما حرب كونية شاملة باردة وعلى حافة ان تغدو حربا ذرية ساخنة •• وكانت الكتلة الاولى الغربيـــة تـرى ان عصر القوميات والسيادة والاستقلال قد انتهى ، وان عصرا جديدا هو عصر التكافل والاحلاف قد بدأ • ليس لاى دولة مكان مستقل عن الاخرين فى مواجهة خطر الشيوعية ، وكانت الكتلة الاخرى الشرقية ترى ان انقسام العالم قد وضع شعوب العالم ودوله ، خاصـــة التى تحررت من الاستعمار ، أمام اختيارين لا ثالث لهمـا ، اما الوقوع فى استعمار جديد فى ربقة الكتلة الغربية أو اختيار طريقهـا « الماركسى ـ اللينينى » وهـــو الطريق الوحيد لحماية الحرية واستمرار الثورة • وليس هناك طريق ثالث •• وكان اقصى مايسمح به الاستعمار بالنسبة لمصر فى ظل عالم مابعد الحرب هو استقلال شـــكلى أو جزئى فى فلك الغرب أو فى اطار حلف من الاحلاف ، كانت مصر وكـان الشرق الاوسط كله ضرورة استراتيجية واقتصادية قصوى بالنسبة للحرب الباردة واعادة بناء اوروبا •• الذى كـان يعتمد على البترول العربى •

كان الاستقلال التام استفزازا وتحديا للاســـتعمار القديم والجديد معا ، ولا يحجمان عن شىء فى سبيل منع تحققه •• ولكن هذا الاستقلال كان اقل ماتقبله مصـر بعد سنين وحقب الامل والكفاح ، وبعد كل ماقدم مـــن تضحيات •• كانت تبعـة تحرير مصر ثقيلة دقيقة تتطلب

من الشجاعة والجرأة بقدر ماتتطلب من الحكمة والحنكة وتعتمد على القدرة على شن الكفاح المسلح ، بقدر ماتعتمد على قدرة مماثلة من الكفاح السياسى والدبلوماسى •

وسواء اعترف الاستاذ الدكتور أم لم يعترف فان احدا آخر لاينكر على عبد الناصر انه قام بالمهمة ونجح فيها بادراكه لحقائق العصر وابعاده بقدر ادراكه لعناصر القضية المصرية •• وأثبت أهليته للقيادة الجديدة وأنها ماكانت تحتاجه وتنظره مصر بعد ماتهاوت وفشلت كل القيادات والقوى السياسية السابقة وتجاوزها التاريخ وسير الاحداث •

ومنذ نهاية الحرب ، ولدت مصر « جديدة » مع العالم الذى تمخضت عنه الحرب ، وكانت احزاب وتنظيمات وقيادات ١٩١٩ وما بعدها لم تعد مناسبة وملائمة •

وقد ادركت الثورة ان مصر المستقلة التى تصر على استقلالها وسيادتها كاملة ، والتى ترفض أى مساس بها واى تبعة للشرق أو الغرب ، لاتستطيع أن تأمن على استقلالها وسط القوى العظمى والاعظم ووسط صراعات وتيارات العصر المتلاطمة اذا عاشت جزيرة معزولة وسط محيط يلتف حولها من المستعمرات والمحميات ومناطق النفوذ • وانه لابد أن يكون هناك مجال حرية حيوى لابعد مدى يحيط بها ويؤمن استقلالها •

وكان الالتحام بحركة التحرر الوطنى وثورة العـرب هو أول الخطوات •

ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية بل وفى اليوم التالى لنهايتها مباشرة •• انفجرت الانتفاضات والثورات العربية متتابعة فى المغرب والمشرق •• من الجزائر الى سـوريا ولبنان والعراق •• وتداعت الفواصل والموانع التى أقيمت لعزل العرب عن بعضهم البعض واندلعتشرارات ونـذر الوحدة القومية بين شعوب أمة واحدة عربية تختلف كـل الاختلاف عن الوحدة « الرسمية » التى كانت بقيـام الجامعة العربيـة •

وكانت كل الثورات والانتفاضات تبحث كل منها عن الاخرى وترى فيها امتدادا وسندا متبادلا وكانت كلهـا تبحث عن محور اساسى تلتف حوله طليعة وقيادة تاريخية لتقدمها ، وهنا قدمت ثورة ٢٣ يوليو كل ما كان مفتقدا •

ومنذ نهاية الحرب انتفضت شعوب آسيا وملايينها ضد الاسـتعمار والامبراطوريات القديمة وتتالت الثـورات عنيفة عارمة ضـد البريطانيين والفرنسـيين والهولنديين وامتدت الثورة الاسيوية الى افريقيا والى أمريكا اللاتينية وهى القارات الثلاث التى وقعت عليها كل وطأة الاستعمار واستنزافه •• والتى قام منها « عالم ثالث » بين العالم الغربى الاستعمارى والعالم الشرقى الاشتراكى •

وبدأت الدول المتحررة والثائرة تبحث عن « تكافـل »

جماعى فيما بينها ، يواجه الكتلتين ، ويحمى استقلال من استقلوا ويقف مع كفاح من لازالوا يحاربون من أجل حريتهم فالحرية واحدة لاتتجزأ والاستعمار فى أى مكان تهديد للاستقلال فى كل مكان ٠

وهكذا قامت مجموعة باندونج وجبهة الحياد وعدم الانحياز ٠ وكانت مصر أحد أعمدتها الرئيسية ، والجسر المتين الذى يربط الاسيويين بالعرب وبالافريقيين ، وكانت القيادة الفتية المتحدية فى المنطقة الحاسمة ٠

وبعد قيام مجموعة باندونج ووضوح اهدافها وتأكيد قوتها وقدرتها غيرت الكتلة الشرقية موقفها ، ولم يعد هناك اختياران فقط امام الدول التى تحررت ٠ واعترفت الكتلة الاشتراكية بدولتيها الرئيسيتين (الصين والاتحاد السوفيتى) بالطريق الثالث وبحق كل دولة فى أن لاتنحاز لاى من الكتلتين ، وبأن هذا هو تأكيد للاستقلال وحق تقرير المصير ، ومساهمة وضمانة لتحقيق السلام ، بينما اصرت الكتلة الغربية على رفضها للحياد وعدم الانحياز واعتباره قصر نظر بل وسياسة « لاأخلاقية » ٠

وكان دور مصر تغيير نظرة وسياسة الكتلة الاشتراكية رئيسيا وحاسما ــ فان صدق الثورة وقيادتها أقنع الاشتراكيين ان عدم الانحياز ليس انتهازية وليس مناورة « ركوب سرجين أو اللعب بحبلين » ٠٠ ولكنه تشبث بالاستقلال ٠٠ وتمسك بالارادة ٠٠ ولكل بلد

وشعب طريقه وابداعه الخاص ٠

وبعد اعتراف الكتلة الاشتراكية بالحياد وعدم الانحياز أصبح التناقض بينها وبين العالم الثالث ثانويا واختلافا على التفاصيل والطرق المؤدية الى نفس الاهداف ٠٠ ولهذا توثقت العلاقة بين المعسكر الاشتراكى وبين هذه الدول ، واستطاعت ان تكسر الحصار التكنولوجى والاستراتيجى الذى فرضه الغرب على العالم الثالث حتى لايتصنع أو يتسلح ٠

واقامت مصر وثورتها ٠٠ أوثق علاقة بهذا المعسكر وذلك لشدة وطأة التحديات ولعمق وصدق التحولات والتغييرات التى ارادتها الثورة ٠٠ وأستطاعت مصر بالسند العربى والسند الاسيوى الافريقى ، والسند الاشتراكى الدولى ان تبنى مكانتها الدولية وان تحقق الاهداف الرئيسية للثورة ٠

لكن الرجعية نددت ، ويشتد كل يوم هذا التنديد بسياسة الثورة الخارجية فى تلك الفترة « الناصرية » ، فهى ترى ـــ كما يرى الدكتور فؤاد زكريا ـــ انها كانت توسعا ومغامرة تفوق كل طاقات مصر وامكانياتها ٠

والرجعية معذورة فى ذلك فهى لاترى فى مصر أكثر من ضيعة خصبة يسرحون ويمرحون وينعمون بها فى كنف دولة استعمارية كبرى ، تماما كما فعلت الاسرة المالكة القديمة وباشواتها وبكواتها فى كنف بريطانيا ٠

ان السياسة الخارجية « الناصرية » لم تكن قط مغامرة أو توسعا ، ولكن تحقيقا للذاتية والوجود المصرى على خريطة العالم بعد غياب طويل . ومصر ليست مجرد حقيقة جغرافية كما كان يقول البريطانيون ولكنها شعب وحضارة ودولة ذات دور وتاريخ لامناص من أن تقوم به فى العصر الحديث ، بعد استعادة استقلالها وشخصيتها ، تماما كما قامت به فى العصر القديم وعلى مدى التاريخ .

والعالم المعاصر متشابك متكامل وليست هناك قضية أو مشكلة منفصلة عن باقى القضايا ولاتستطيع دولة ولا يستطيع شعب يريد ان يثبت جدارته ، وان يؤكد ذاتيته ، ان يدير ظهره لصراعات ومتغيرات العالم ويتصور بهذا أنه يحتمى منها ولابد للبلد الذى ينشد حماية حقيقية لسيادته ان يواجه العصر وان يحدد مبادئه ، كما يحدد مواقفه ومصالحه ، وبذلك لايتجاوزه التاريخ أو يجرفه .

ان السياسة الخارجية فى هذا العصر بالذات لاتنفصل عن السياسة الداخلية . وهى حقيقة ربما كانت اشد مغزى بالنسبة لمصر .. لموقعها ومكانتها ، وللمطامع والصراعات المستميتة حولها ولتشبثها باستقلالها ومكانتها .

وقد أصبحت مصر « الناصرية » بسياستها الخارجية وبدورها العربى ودورها الاسيوى الافريقى وبعلاقاتها ومحالفتها مع قوى الثورة الوطنية والاشتراكية فى العالم،

قوة لا يملك أحد أن يتجاهلها ولا أن يمس حرماتها .

وإذا كانت قد حدثت اخطاء فى السياسة الخارجية العربية أو الدولية ، فانها لم تقض علينا ولم تكسرنا ، ولكنها عركتنا وقد كانت مصر المستقلة تخرج الى العالم وتمارس السياسة العربية والدولية لاول مرة ، وفى عالم معقد غير متكافىء . وكان نجاحها باهرا ولا يقاس فى شىء بالأخطاء التكتيكية التى حدثت .

وتكفى نظرة الى خريطة العالم العربى اليوم . حيث لم تعد الجزائر مقاطعة فرنسية ، واليمن امامة من القرون الوسطى ، وليبيا ثلاث مناطق نفوذ لثلاث دول أجنبية ، والعراق قاعدة لحلف غربى .. وحيث تقف القوات العربية المسلحة قادرة فى مواجهة الامبريالية الامريكية والصهيونية واثقة أن مصيرها لن يختلف عن مصير كل المستعمرين السابقين .

وتكفى نظرة على خريطة العالم الاسيوى الافريقى الذى ربطت مصر ثورتها بثورته ، حيث سقطت وتتساقط الامبراطوريات القديمة البريطانية والفرنسية والهولندية، ثم البرتغالية وأخيرا ومن حالق عال الامبراطورية الأمريكية .

يكفى هذا ليؤكد صحة الرؤية الناصرية لدور مصر وموقعها من العالم والعصر الحديث وهو أساس سياسته

الخارجية ، قام عبد الناصر بثورة وطنية هدفها الاول هو الاستقلال ، وكان يكفيه دورا وفخرا انه حققه .

ولكنه أدرك منذ اللحظة الأولى أن القضية الوطنية لا تنفصل عن قضية أخرى لا تقل أهمية وهى القضية الاجتماعية ، بل وانهما وجهان لقضية واحدة .. وان تحرير مصر من الاستعمار لابد أن يعنى تحررها من جوهر الاستعمار وأساسه وهو الاستغلال .

والاستعمار لا يسود الارض ولكن يستغل ويستنزف الشعب ، والحرية لهذا لا تعنى فقط استعادة السيادة ولكن بناء مجتمع جديد يسترد فيه كل مصرى وقعت عليه الوطأة الاستعمارية حقوقه الكاملة

وقد تدرجت القضية الاجتماعية من تصفية الاقطاع والرأسمال الكبير والاحتكارية ، حتى تمصير الاقتصاد ورفع كل سيطرة للرأسمال الأجنبى ، حتى التأميم واعلان الاشتراكية . ذلك أن تمصير الاقتصاد لا يعنى تحريره . لان طبقة جديدة مستغلة سوف تقوم مكان الاجنبى . انما يجب أن تنتقل الثروة الى مالكها الشرعى وهو الشعب .

ومنذ اعلان الاشتراكية أصبح تحقيقها هو جوهر كل السياسات الداخلية والخارجية . ولا تقاس مشاق التحرر الوطنى فى شىء بمصاعب التحول الاجتماعى ، خاصة فى مجتمع مثل المجتمع المصرى .. يزخر بالتناقضات ويحمل

رواسب استعمارية اقطاعية رأسمالية عمرها آلاف ومئات الأعوام •

ان العقبات والصدمات محتومة دائما فى الانتقال من مرحلة الى مرحلة فى ظل واقع شديد التعقيد •• وأول من يجب أن يميزها ويراها على حقيقتها هو الفيلسوف المفكر « اليسارى » • ولكن الدكتور فؤاد زكريا ينفى ذلك تماما ويؤكد أنه لم تقم أى اشتراكية ، وان ما تم لم يكن غير فاشـــــية •

ولم يحجم الدكتور ـ خلال تجـريده للاشـــــتراكية الناصرية من كل صفة أو مزية ـ عن الوقوع فى سـلسلة من المتناقضات تبلغ حد العبث •

فهو يقر مثلا اننا كنا نعيش قبل الثورة فى ظل اقطاع من القرون الوسطى ورأسمالية من القرن التاســع عشر ويقر أن الثورة قد أخرجتنا منهما ، وان هناك من يريد أن يعيد عقارب الساعة الى الوراء •• أى بعد أن دفعتهـا الثورة الى الامام •• ولاشك أن الخروج من مقبرة القرون الوسطى وفظاعة القرن التاســـع عشر كان يكفى الثورة فخرا • ولكن الدكتور يعود ليكرر أن الثورة قد سحقت المصريين ، ولم تفعل سوى ان أضافت شريحة أخرى الى المستغلين والمستبدين •

ولكى يدلل الدكتور على صحة دعواه يقـول اننا حتى

الآن لازلنا نستعمل الالقاب •• ولو كانت الثورة اشتراكية حقا ، لكانت قد استطاعت أن تمحو الالقاب محـــوا من ذاكرة الشعب وحياته اليومية •

وهو دليل فريد بالطبع •

فالدكتور لاشـــك عاش ولازال يذكر العصر الذى كان المجتمع فيه ملكيا ، وكان على قمتـــه ملك يلقب بحضرة صاحب الجلالة الملك المعظم حفظه الله ، ثم يليه أمراء يلقب بعضهم بحضرة صاحب السمو الملكى ويلقب الاخـــرون بصاحب السمو الملكى فقط • ثم يتلوهم نبلاء يلقب بعضهم بالنبيل فقط بلا مجد !

ثم يأتى بعدهم باشوات بعضهم لابد أن يلقب بحضرة صاحب المقام الرفيع ، وبعضهم حضرة صاحب السعادة ، وبعضهم صاحب السعادة فقط ، وآخرون بحكم مناصـــبهم صاحب المعالى •• وتنتهى الالقاب بالبكوات ، وبعضهم من الدرجة الاولى ويلقب حضرة صاحب العزة والآخرون من الدرجة الثانية (صاحب العزة فقط) • ثم محيط واسع تحت كل هؤلاء من الافندية • ويذكر الدكتور أيضا انه كان هناك تجمع آخر من الاجانب بألقابهم الخاصة ، تتراوح بين اللورد والسير والكونت والبارون ، وأحيانا ممن يجمع بين السؤدد والمجد وبين كلا النوعين ، وبغـــير القاب ، أو بالقاب منتحلة ومصطنعة ، كانت هناك فئات فوق فئات ،

وطبقات فوق طبقات ، من الاعيان والمشايخ أصحاب الوجاهة والفضيلة والحسب والنسب • ثمّ جيش من النفاية الأوروبية وجيش آخر من النفاية العثمانية ، لا هم مصريون ولا عرب ولا خواجات •• يتعالون على القاع الذى يرسف فيه الملايين والملايين من المصريين المسحوقين والمجردين من كل شىء •

فاذا كان لم يبق من هذا المجتمع بعد عشرين عاما من الثورة سوى لقب « بك » يستعمل مجاملة ، ويموت تدريجيا ، أو بعض مخلفات ترى فى ألقابها كل حياتها •• فهل هذه هى الخطيئة التى يستدل منها على فشل الاشتراكية فى مصر ؟

ان العادات والعبودية تموت موتا بطيئا ، اشد بطئا مما يقدر الثوار •• وذلك كما لابد وقد درس الدكتور فى علم الاجتماع •

على أن الدكتور لا يكتفى بهذا ، وانما يقدم دليلا قاطعا آخر على فشل الاشتراكية وهو الاستقبال الذى لقيه نيكسون فى مصر •

وهنا يخرج الدكتور بنتيجة دامغة ومبتكرة ، وهى ان استقبال نيكسون كان استفتاء شعبيا على رفض الشعب للاشتراكية والثورة « الناصرية » عامة •

ولا ينتهى الدكتور الى الوجه الآخر للنتيجة • وهو أنه اذا كان الشعب قد صوت باستقبال نيكسون ضد

الاشـــتراكية ، فلابد وأن يكون قد أعلن ثقته وايمـــانه بالرأسمالية والامبريالية الأمريكية .

وحينئذ لابد أن نعيـــد النظر فى كل تاريخنا الحديث القريب والبعيد ، ويصبح لا معنى لأن نترك قواتنا المسلحة فى مواجهة هذه الامبريالية فى رمال الصحراء ، ويصـــبح علينا أن نبحث عن حقيقة الشعب المصرى « الآخر » الذى عاش فى معركة متصلة مستميتة طوال عشرين عاما — ومنذ الثورة حتى الآن — ضد هذه الامبريالية والرأسمالية !

ان من المؤســف حقا أن أول من قال بهــذه الدعوى ، وسبق الدكتور فؤاد زكريا اليها ، كاتب مبتذل من كتاب احدى المجلات الأسبوعية ، وقف على أبواب كل الحكام ، وأثبت ومجد كل شيء قالوه .. وقد نقله عنه وتبعه رتل من الكتاب الساقطين ، وجعلوا منه حجة ثابتة فى جعبـــة اليمـــين .

واذا كان الدكتور الفيلسوف قد ارتضى أن ينقل هذه الفكرة ويرفعها الى مصاف الحجج الفكرية على فســـاد الاشتراكية وفشلها .. فاننا نســـأله وفق أى منهج وأى منطق ؟ ولابد أن يقـــدم لنا الدكتور بجرأته وموضوعيته تحليلا كاملا لظاهرة استقبال نيكســـون .. وكيف ننتهى الى هذه النتيجة !

على أن الأجدى من هذا أن نعود الى موضوعنا .

ان عبد الناصر لم يقل ، ولا أحـــد من الناصريين أو الماركسيين ، أن الناصرية قد أقامت المجتمع الاشـــتراكى النموذجى فى مصر ، أو قدمت الحلول المثالية لكل المشاكل، أو حققت كل الآمال التى عقدت عليها — ولكن ما يؤيدونه ويؤكدونه هو ان الاشـــتراكية هى الطـــريق الصـــحيح والوحيد ، وان الاشتراكية طريق عسير وكفاح متصل من أجل تعميق الفكر وتصحيح التطبيق المستمر !

وما أبـــداه الناصريون والماركســيون وكل الوطنيـــين المستنيرين ، ولابد أن يؤيدوه دائما هو أن الثورة حينما كان عليها أن تختار اختارت الاشتراكية وأعلنت فى ميثاق وطنى عام بينها وبين الشعب ان الاشتراكية التى تختارها هى الاشتراكية العلمية . ليست اشتراكية شكلية أو مجرد واجهة وشعارات ، وانما اشتراكية تؤمم المواقع الرئيسية للثروة ، وتعترف بالصراع الطبقى ، وتبدع طريقا خـــلاقا وسليما لمواجهته .

وقد قامت الاشتراكية المصرية فى مجتمع معقد ، هـــو أقدم المجتمعات « الطبقية » فى التاريخ ، وكياناته وعلاقاته ورواسبه الطبقية قديمة .. قدم الصراع الانسانى كله .

وقامت الاشـــتراكية المصرية فى قلب منطقة تستميت الرأسمالية العالمية لكى تبقى فى فلكها ، من أجل البترول والاستراتيجية الكونية ، وتفعل أى شىء فى ســـبيل أن لا تقوم أو تنجح اشتراكية فيها ، وخاصة فى أهم دولها .

وقد كانت حرب ٦٧ ذروة محاولات الرأسمالية العالمية لضرب الاشتراكية فى مصر • وقد يكون تكرارا مملا أن تحدد ما حققته الاشتراكية مساحة الأرض التى وزعت والأرض التى استصلحت ، وما غيرته فى حياة الريف وحياة الفلاح أو عدد المصانع التى أقيمت وما فعلته فى حياة العمال أو عدد المدارس والمعاهد والكليات وما أثرت فى حياة مصر الثقافية أو عدد القوات المسلحة التى تكونت وما منحته من ثقة • هذه احصاءات يعرفها الجميع • ولابد كان الدكتور أول من يجب أن يراجعها قبل أن يعلن بيانه وتقييمه • لن نكرر احصاءات معروفة ولكن لا يستطيع أحد أن ينكر على الثورة انها ألقت بذور الاشتراكية فى مصر ، بطول البلاد وعرضها • فى القرية والمدينة والصحراء • وانها أعلنت حتمية الطريق الاشتراكى وقدرة الاشتراكية على حل المشاكل ، وان لا حل سواها ، وانها تركت لهذه البذور أن تنمو فى أخصب تربة للاشتراكية •

ولا أحد ينكر أن الاشتراكية قد دكت المجتمع القديم الظالم من أسسه ، وبددت الخرافة التى كانت تجعل منه المجتمع الوصى والابدى الازلى • وأكدت فى نفوس الملايين ان المجتمع الظالم ليس هو طبيعة الاشياء ، وان من الممكن استبداله بمجتمع كفاية وعدل •

لقد قدمت هذه الاشتراكية « الأمل » ، حتى اذا لم

تكن قد قدمت الفائدة الملموسةكاملة • وعمر الاشتراكية فى مصر ــ على أى حال ــ لا يزيد عن ١٤ عاما منذ اعلان القوانين الاشتراكية • وربما كان عمرها الصحيح ست سنوات حتى حرب ١٩٦٧ وهى كانت أقسى امتحان لها ، والتى وضعت مصر أمام تحد قلب كل الخطط والمشاريع •

ومن حق الدكتور أن ينكر أنه كانت هناك اشتراكية ، أو انها حققت شيئا ، ولكن أفضل الاقتصاديين فى مصر ــ وطنيين أو اشتراكيين أو ماركسيين ــ يعترفون بأن القطاع العام الذى أقامته الاشتراكية هو الذى مكن مصر من الصمود اقتصاديا خلال المحنة الكبيرة •

ويعترف أفضل الاقتصاديين من كل الاتجاهات « الوطنية » أن ما حققته مصر من تنمية فى ظل الاشتراكية هو أضخم تنمية حققتها فى تاريخها الحديث كله ، أى منذ تفتحت على الحضارة المعاصرة أيام محمد على •

واذا كان الدكتور زكريا يمجد العبور ، ويرى فيه بعث الانسان المصرى الذى سحقته « التجربة الناصرية » فان العسكريين الذين قادوا هذا العبور والذين يعرفون أسراره بأفضل مما يعرف ، أعلنوا أنه لولا القطاع العام الذى أقامته الاشتراكية لما أمكن العبور والانتصار !

ولاشك أن الدكتور فؤاد زكريا لم يزر قط قرى الاصلاح الزراعى ، ولم يشهد ذات يوم اجتماعا فى قصر الأمير كمال حسين فى نجع حمادى ، بين الفلاحين الذين

وزعت عليهم أرضه ، وبين أعضاء مجلس الشعب ورجال الاصلاح الزراعى • وهو ما لم يحلم به فلاح فى يوم من الأيام •

ولا شك أن الدكتور لم يزر قط مجمع الالمونيوم فى نجع حمادى أيضا ، ليرى كيف ينتقل مجتمع من الاقطاع أو ما قبله الى عصر الصناعة الاشتراكية رأسا • وبالطبع لم يزر السد العالى أو مصنع السكر فى ادفو أشد مناطق مصر فقرا فيما مضى •

ولا شك أن الدكتور لم يقرأ ما ينشره طلبته وطلبة الجامعة التى يقوم بالتدريس فيها على جدران كلياتهم • وهم الجيل الذى انجبته الثورة ، والذى يتدفق حيوية وحرارة وايجابية حتى فى سخطه ورفضه وتمرده • أنه بالتأكيد جيل لم تسحقه الثورة كما يؤكد !

وحينما كان الدكتور طالبا فى الجامعة كانت هناك جامعتان فى القاهرة والاسكندرية ، أما الآن فتنتشر الجامعات والكليات فى أرجاء مصر • فى أسوان وأسيوط والمنيا وفى طنطا والمنصورة والزقازيق • والنظام الذى يسحق الشعب أو يضع هذا من هدفه لا يفتح هذا العدد من المدارس والجامعات •

وقد كان واجبا علميا على الدكتور قبل أن يلقى بآرائه القاطعة الجارفة أن يطوف المواقع وأن يرى الحياة على الطبيعة ، وأن « يمسح » التحولات بدقة ، وأن يراجع

الأرقام والاحصاءات .

والا فما هى المراجع التى استنبط منها أن كل ما فعلته الثورة هو اضافة ٥ر٤٪ الى الطبقات القديمة وكيف سمح له ضميره العلمى أن يلقى بهذه الحقيقة متحديا بهـذا كل التحولات التى حدثت فى المجتمع وكل احصاءات العمال والفلاحين والطلاب الذين تكونوا .

وهناك اتهام تقليدى توجهـه الطبقات المخلوعة ضـد الاشتراكية فى كل مكان وهو انها خلعت الطبقات القديمة لا لصالح عامة الشعب ولكن لتحل طبقة جديدة محلها . وانها أضـافت شرائح أخـرى من الثوار تحـولوا الى بورجوازيين .

وقد رددها الاستاذ الدكتور بدوره !

وقد وجه نفس الاتهام الى كل الثورات الاشتراكية فى المعسكر الاشتراكى أو فى العالم الثالث ، بلا استثناء .

ان الطبقة الجـديدة حقيقة ، ولعنة ، وهى تصـاحب الاشتراكية دائما ، وفى مراحل منها ، وهى مشكلة واجهت الاتحاد السوفيتى والصين ويوغوسلافيا كمـا تواجـه كوبا أو مصر أو غينيا . فاستيلاء الثوار على السلطة يغرى بعضهم بسوء اسـتغلالها ، وتعمل الطبقات القديمة بكل ما تستطيع على اجتذاب وافساد أكبر قدر من الثوارلتثبت دعاويها ولتمد فى أجلهـا .

ولكن الطبقة الجديدة ليست « طبقة » بل هى مجـرد

فئات أو شرائح صغيرة • وهى تنتهى دائما باستمرار الثورة ، وان الاشتراكية تنجب دائما القوى التى تصحح أخطاءها وعثراتها ، والثورة الدائمة هى المصل المضاد للطبقة الجديدة أو الوسيلة لحصارها وتصفيتها • والاشتراكية لا تتحقق سهلة يسيرة • وانما هى صراع جدلى يستمر طويلا بين المجتمع القديم والجديد •

وربما يستطيع الدكتور أن يعدد مائة عيب وعيب للثورة والتجربة الاشتراكية ويوافقه كثيرون عليها ، ولكن فرق بين تعداد العيوب للتشفي أو لنفي وهدم الثورة ، وفرق بين كشفها لتلافيها والمضى والاستمرار بالثورة •

وفرق بين نقد اليساريين — كما حدث — للوصول الى الطريق والحلول الأفضل ونقد الاستاذ الذى لا ينقد بل يصم ويندد والذى لا يصل الى العيوب الحقيقية ولكن يظل دائما على السطح وبقصد الاثارة •

ويمكن أن يقال فى اطار النقد أن الاصلاح الزراعى فى مصر ورغم ثلاثة اصلاحات أساسية وجوهرية الا أنه مكن بعض الاقطاعيين والملاك والموظفين من التلاعب بنصوصه وبنوده وأن مسئولين اقطاعيين فى أعلى المستويات قد أشرفوا على تنفيذه وأن موظفين بيروقراطيين خدموا الملاك دائما قد قاموا بتطبيقه وأن الاصلاح الزراعى المصرى نفذ فى أغلب المناطق تنفيذا اداريا وليس سياسيا وشعبيا قائما على تعبئة الفلاحين واستنفارهم

لاسترداد حقوقهم وحراستها ، وهذا الاسلوب الادارى احتوى بالطبع الكثير من ثورية الاصـــلاح الزراعى التى كانت منتظرة والكثـــير من عمق وأصالة التحول وانه منح القوى الرأسمالية والمالكة فى الريف مجالا واسعا للمناورة •

وقد يقال أن حد الملكية الاقصى فى الاصـــلاح الزراعى لازال كبيرا بالنسبة لعدالة توزيع الارض الواجبة فى مصر وكثافة السكان فى الريف وأن استصلاح الاراضى لا يتم بالسرعة الواجبة ، وأن الارض المستصلحة لا تذهب الى الفلاحين الفقراء والمعدمين كما يجب أن تذهب • ولم تدر على الطريقة العصرية الاشتراكية كمزارع جماعيـــة أو تعاونية ، ولكن اختلس الكثير منها ملاك ورأســـــماليون ومضاربون وانتهازيون •

ويمكن أن يقال أن التعاون الـــذى نص عليـــه قانون الاصلاح لم يقم ويزدهر كحركة شعبية اشتراكية نابعة من الفلاحين منهم واليهم ولكن ظل حكوميا روتينيا حافلا بالثغرات يهيمن عليه الموظفون وأعيان الريف • ولايفيض بالروح التعاونية التى يجب أن تكون أساســـــه وحافزه الأول •

ويمكن أن يقال أن النقابات الزراعية لم تتكون كما يجب أن تقوم وانها لم تضـــم العمال الزراعيين ولم تستقطب العمال المعدمين عمال التراحيل وهم بؤرة شقاء مصر ولم تقدم حلا جذريا لهم •

يمكن أن يقال هذا وأكثر منه • ولكن يظل هذا تفاصيل المصاعب الطبيعية التى واجهت معظم الثورات والتحولات وتبقى تحديات علينا أن نصــفيها ونتخلص منها • ولكن الاساس قد حدث وتحقق • سقط الاقطاع وتحرر الفلاح ورفع رأسه ولم يعد ممكنا أن يستغل أو يستعبد •

وفى الصناعة ربما يقال أن الخطط لم تكن سليمة تماما • انشئت مصانع فى الموقع الخطــأ وبالأســلوب الخطــأ وبالتكاليف الخطأ وسلمت المؤسسات والشركات التى تأممت الى موظفين وأحيانا الى رأسماليين لا يريدون الاشتراكية وانما يقاومونها •

وقد يقال أن كثيرا من اللوائح والأساليب الاشتراكية فى الادارة والانتاج قد أهدرت•ولم يتكون الكادر الاشتراكى الفنى والادارى ، ولم تمنح الطبقة العاملة الدور النقابى والسياسى الذى كان يجب أن يكون لها فى اقامة وادارة الصــناعة •

ولكن تظل هذه أيضا تفاصيل ومشاكل لا تستعصى على الحل • ولكن الهدف الرئيسى قد تحقق ، سقطت كل دعاوى الامبريالية والرأسمالية ، وقامت مصر الصناعية •وتحققت الثورة الصناعية فى ظل الاشتراكية واقيمت قاعدة صناعية هى الأساس لكل البناء •

وربما كان عدد المدارس فى مصر أقل مما يجب وكانت

مرتبات وأحوال المـــدرسين أقل مما ينبغى وربمـــا كانت المناهج متخلفة والمعاهد والكليات والجامعات مفتقرة الى الكثير من المقومات . ولكن تبقى كل هذه أيضا تفاصيل . والمهم ان الشعب قد انتزع حقا حرم منه سنين وقرون هو حق التعليم ، وتعلم عشرات الألوف من أبنـــاء الفقـــراء والعمال والفلاحين وعلى هؤلاء الـــذين تخرجوا وتسلموا التبعة أن يسدوا كل الثغرات وأن يصححوا كل الأخطـــاء التى عرفوها وعانوا منها .

وقد عقد الاستاذ الدكتور مقارنة ساذجة وظالمة بـــين عبد الناصر وستالين ومع ذلك فقد قال ذات يوم واحد من أشد خصوم ستالين «لقد أدخل ستالين روسيا الى المدرسة» وكان هذا فى رأيه يجب ويغفـــر كل شىء ، فقـــد انجبت المدرسة السوفيتية الجيل الذى تدارك كـــل الاخطـــاء الستالينية . وقد كانت المدرسة السوفيتية فى عصر ستالين أسوأ بكثير من المدرسة المصرية فى عصر عبد النـــاصر لن صحت المقارنة .

ان كل العيوب ثانوية . ولكن المهام التاريخية للاشتراكية قد تحققت . سقط الاقطاع والرأسمالية وانتقلت مواقـــع الثروة الأساسية الى الشعب . وقامت مصر الصـــناعية العســـكرية المثقفة ونما جيل جـــديد انتقلت اليه تبعـــة استكمال المسئولية .

تبقى قضية الديموقراطية

لأنه لم تكن هناك اشتراكية فلم تكن هناك ديموقراطية. والعكس أيضـــا !

هكذا لخص الدكتور فؤاد زكريا « التجربة الناصرية ». كل شيء كان زائفا وكاذبا .

وقضية الديموقراطية هي أهم قضايا العصر . ولكنهـا أيضا ذريعة ، وباسمها ترتكب الجرائم والخطايا .

فالديموقراطية مثلا هي الشعار الذي ترفعه الرأسمالية والامبريالية الجـديدة في حربها ضـــد الثورة الوطنيـــة والاجتماعية في العالم الثالث ، وضد الاشتراكية في المعسكر الاشتراكي ، فهي تزعم أن معركة العصر هي معركة بـــين الديموقراطية وبين الشـــمولية ، وليست بين الرأسمالية والامبريالية وبين الحرية والاشتراكية .

والديمقراطية التي تعترف بها وتتخذها نموذجا يحتذى للعالم الثالث هي ديموقراطية فرموزا ، في ظل تشيانج كاي شيك ، أو ديموقراطية فيتنام الجنوبية في ظل « ثيـــو » ، أو ديموقراطية كوريا الجنـــوبية وأخـــيرا وليس آخـــرا ديموقراطية اسرائيل .

ولكن النظم الأخرى ، نظم عبـــد الناصر في مصر أو سيكتوري في غينيا أو « ســـوكارنو » في أندونيسيا فهي

نظم ديكتاتورية شمولية شيوعية لابد من مقاومتها لاجل الديموقراطية !

والديموقراطية كانت الذريعة التى انشقت بها الحركة الاشتراكية الدولية بمساهمة القوى الرأسمالية والاستعمارية ، وانقسمت الى أحزاب اشتراكية ديموقراطية تهاجم الأحزاب الاشتراكية اليسارية والاحزاب الاشتراكية الماركسية بحجة واحدة : هى افتقادها أو عدوانها على الديموقراطية •

وقد انتهت الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية فى حماسها للديموقراطية الى الانحياز الى الرأسمالية الامبريالية واصبحت احزابها الكبرى (حزب العمال فى بريطانيا والحزب الاشتراكى الديموقراطى فى المانيا الغربية والحزب الاشتراكى الديموقراطى الايطالى) هى طليعة ودعامة التحالف الرأسمالى الذى تقوم عليه الرأسمالية الجديدة فى الغرب •

ان الديموقراطية فى البلاد التى عانت الاستعمار والاستغلال الاجنبى لابد ان تبدأ أولا بالديموقراطية الاقتصادية والاجتماعية ، وتصفية العهد القديم بكل كياناته وعلاقاته •

لايمكن ان تقوم ديموقراطية فى ظل الامية أو المجاعة أو المرض أو البطالة •• واغلبية سحقها الاستبداد والاستغلال •

ولم يكن هدم المجتمع القديم ليتم بالحوار والاقناع كان لابد من العنف والقهر لطبقات قهرت واذلت الشعب طويلا ـ وكان لامناص مرة لسوء الحظ ـ أن يمتد القهر ويتجاوز حدوده فى التطبيق •• ولكن مهما كانت الاخطاء التى حدثت فانها لاتبرر اتخاذ اليمين لها ذريعة للتنديد بالثورة •

ان تجاوز الشرعية حدث فى كل الثورات بلا استثناء فى الشرق أو الغرب • والثورة ليست حفلة وانما صراع قوى •• هائل •

ان ماحدث فى مصر لايقارن فى شىء بما حدث فى ثورات أخرى غربية أو اشتراكية أو عربية لا يقاس فى شىء بما حدث فى الثورة الفرنسية والروسية وفى الثورة الجزائرية أو الانتفاضات العراقية •

وان ما حدث من تجاوزات ينبغى ان لايؤخذ وسيلة لانكار كل ماحققته الثورة أو تكئة للدعوة الى عودة «عقارب الساعة الى الوراء » •

ثم ان اليمين المصرى لاحق له فى الحديث عن القهر والتعذيب فقد حكم طويلا •• وتمخض حكمه عن ٩٩٪ من الشعب فى ادنى درجات الانسانية • وليس هناك قهرا أو تعذيب اشد من هذا •

وتجاوزات القانون والشرعية تعنى أول ما تعنى البحث عن افضل شكل لديموقراطية اشتراكية لا تنفصل فيها

الديموقراطية السياسية عن الديموقراطية الاقتصادية أو الديموقراطية الثقافية وهى لاتعنى قط اعادة الديموقراطية الرأسمالية أو سيادة القانون « البورجوازى » •

ان ما حدث من تجاوزات كان حالات واستثناءات لم يكن القانون ولم يعلن الارهاب العام ولكن انحرافات وشذوذاً ومن الافتراء الاستناد اليها •• للقول بأن هذه هى الناصرية وانها بهذا سحقت مصر والمصريين •• كما تفضل الأستاذ الدكتور •

ويشتهر الفلاسفة عادة بالنسيان أو ضعف الذاكرة •• ان الحقائق العليا التى يستغرقون فيها تنسيهم دائما الحقائق الصغيرة •• أو الجزئية •

وفى نوفمبر سنة ١٩٧٠ كتب أحدالفلاسفة المفكرين يعدد مزايا ثورة عبد الناصر فقال « قبل عام ١٩٥٢ كان التفكير فى العدالة الاجتماعية يتخفى ويتسرب تحت الارض وكانت الاشتراكية معنى محرما تعاقب عليه قوانين الدولة الرسمية • وكانت الملكية الخاصة سواء منها الزراعية والصناعية حقا مقدسا لا يمس ، مهما بلغ مقدار استغلالها أو وقوفها فى وجه النمو المنطلق للمجتمع • وكانت أبواب البلاد مفتوحة على مصراعيها امام الاستثمارات الاجنبية ، دون ان يتساءل احد عن مدى التعارض بين هذه الاستثمارات وبين رغبتنا فى تنمية اقتصادنا على نحو

مستقل أما اليوم فان الاشتراكية والعدالة الاجتماعية هى السياسة الرسمية للدولة • والاقتصاد الوطنى يعرف كيف يميز بين المساعدة الآتية من الاصدقاء وبين الاستغلال الذى يعوق نمـــوه • والملكية الخاصة قد تكشــفت وظيفتها الاجتماعية ، ولم تعد تحاط بهـــالة القداسة التى كانت تمنع المجتمع حتى من تقليم أظافرها •

وقبل عام ١٩٥٢ كان التفكير فى الحيــاد حتى لو كان سلبيا يعد ضربا من المغامرة وكان فكر المعسكر الاشتراكى من الممنوعات المحرمات • وكانت حركات التحرر الوطنى بعيدة عن فكرنا لان اهتمامنا كله كان منصبا على الاحتلال المباشر الذى يجثم فى قلب اراضــــينا • بل كانت مجرد الدعوى الى السلام تعد ــ بطريقة يأباها المنطق ويستنكرها مجرد الاستخدام السليم للالفاظ ــ دعوة هدامة • واليوم أصبح الحياد الايجابى معسكرا كاملا نقف نحن على رأسه• وتحولت هذه الايجابية نتيجة لسلسلة متلاحقة من الظروف الضاغطة ، الى فهم وادراك للطابع العدوانى للرأســمالية العالمية ، وتفاهم متزايد مع المعسكر الاشتراكى ، وتضامن وثيق مع الحركات التحررية فى العالم الثالث •

وهذه هى الوقائع الموضوعية • وبناء على هذه الوقائع تغير تفكيرنا وأصبحت له اسس ومحاور جديدة •

ولما كانت هذه الاسس تستجيب لرغبات شعبية طاغية، فقد أصبح الجميع يتبنون شعاراتها ، ويجهرون بالدفـــاع

عنها ، ويتقربون الى الناس عن طريقها » •

واستطرد الفيلسوف المفكر ليقول :

« على الرغم من الانحرافات الفكرية ، فان هناك حقيقة واحدة : وهى ان الجميع ينادون بالشعارات الاشتراكية • وهذا يعد فى ذاته تقدما هائلا • لان هذا الاجماع يعكس تعلقا شديدا وشاملا من الشعب بالمعانى التى تعبر عنها هذه الشعارات ، بحيثيكون التراجع عنها فى المستقبلضربا من المستحيلات • وفى هذا التعلق الشعبى الكامل بمبدأ الاشتراكية ، واضطرار القلة التى لاتؤمن بها أو لاتفهمها الى صياغة افكارها فى اطار ظاهرى من هذا المبدأ ذاته •• فى هذا مايؤكد ان الوصف الصحيح لموقفنا الفكرى بعد غياب القائد هو الامتلاء لا الفراغ !

« ومن المؤكد ان للامتلاء مشكلاته ولكنها ايا كان تعقيدها ليست مشكلات ولدها الهزال والعقم ، كما يتصور أصحاب نظرية الفراغ • وانما هى مشكلات تولدت عن الخصوبة والثراء والتنوع الفكرى الذى لابد ان يتميز به العصر الذى نجد أنفسنا على أبوابه » •

وهذا الفيلسوف المفكر سنة ١٩٧٠ هو نفس الدكتور فؤاد زكريا سنة ١٩٧٥ •• وهو قد نسى ان يبين لنا فى بحثه عن اليسار المصرى وعبد الناصر •• ماهى الوقائع الموضوعية التى بناء عليها تغير تفكيره وأصبحت له أسس

ومحاور جديدة ٠

٠٠ ولقد قال الدكتور فى ذلك البحث أيضا :

« ان التحدى الذى يفوق كل ماعداه أهمية فى هذه المرحلة هو مواجهة مؤامرات دعاة الارتداد والتراجع أولا » ٠

ولا نظن ان الوقيعة بين اليساريين أو وصـم التجربة الناصرية اليوم هى أفضل مواجهة لذلك الارتداد ٠

ولا نظن أيضا ٠٠ ان الحياة الاستهلاكية الرغـدة فى الكويت حيث يعمل الدكتور ويبعث بأحكامه وحكمه ٠٠ هى أفضل موقع لمواجهة دعاة الارتداد الذين يتكاثرون فى مصر الآن كالجراد ٠

ونسأل الله ان يطيل اعمارنا حتى نقرأ رأى الدكتور فيما يجرى الآن ٠٠ سنة ١٩٩٥ ونحيى شجاعته وموضوعيته ٠

رد على الرد

لابد ان يحسد المرء الدكتور فؤاد زكريا على قدرته وجرأته والاسم الصحيح تبجحه .

وقد كان الدكتور ولازال يرى نفسه ذكيا نقيا ناصع النفس والقلب ، بينما كل الآخرين مفترين سطحيين .. ارهابيين جمعهم كلهم العدوان عليه وعلى الحقيقة . وقد تكاثر سبعة منهم على الاستاذ الراهب العاكف على الحق وعلى اظهاره وأرادوا النيل منه وطمس النور الذى خرج به على الناس .

وتختلف القصة بعض الشيء .

قال الدكتور فى بداية البداية انه أصلح من يحكم على « العهد الناصرى » وأحكمهم وأشدهم نزاهة لأنه كان فوق ذلك العهد ولم يرتبط به ، ولم يضار منه ، ولم يستفد أيضا فائدة غير مشروعة ولم ينتهز فرصة .

وكان الدكتور خلال العهد الذى أثار الجدل حوله .. ولسنوات .. رئيس تحرير مجلة الفكر المعاصر .. الى جوار عمله كرئيس لقسم الفلسفة فى الجامعة .. ولم تكن مجلة الفكر المعاصر هى مجلة المعارضة ضد هذا النظام .

ولم تكن أيضا مجلة المقاومة السرية ولكنها كانت منبرا

رسميا شرعيا من منابر فكر « التجـربة الناصرية » ••
وكانت تصدر عن وزارة الثقافة المصرية وبأموالها ، وكانت
رسالتها الدعوة الفكرية واثراء وتفسير التجربة القائمـة
فكريا وتعبئة المثقفين حولهـا •

وفى دولة بوليسية ارهابية تخرب روح الانسان المصرى
وتسحقه كما يقرر الاستاذ •• لايختار أى أحد لرئاسـة
هذا النوع من المجـلات ولابـد ان يكون من يقع عليه
الاختيار محل ثقة مطلقة للقوى التى كانت تحكم كل شىء
خاصة حياة وحرية الفكر والمفكرين •

ولـم يقل الدكتـور أو يصرح انـه أرغم ارغاما على
المنصب وبهذا يكون قد قبله راضيا •

ولما كانت المنافسة حامية فى ذلك الوقت حول مثل هذه
المناصب فلابد أن الدكتور قد سعى سعيا حقيقيا اليـه ،
ولابد انه قد فاز به بصلات وعلاقات وسمعة حسنة لدى
المسئولين والحكام •

ولهذا •• ليس هو أفضل الناس وأنزههم لكى يحكم
على التجـربة من أعـلى !

ولأنظن أن أستاذا ومفكرا يرأس تحرير منبر رئيسى
من منابر فكر ثورة ودولة ويظل طويلا فى هذا المنصب ،
يمكن أن يكون رافضا ومعاديا للثورة والدولة معا •• منذ
البداية حتى النهـاية ـ كما يقرر الآن •

ورئيس تحرير مجلة فكرية ذات رأى ورسـالة معينة

لابد له ــ اذا كان يحترم نفسه ــ ان لايقبل المنصب الا اذا كان مقتنعا تماما وموافقا تماما • ولا يمكن لمفكر خاصة اذا كان فى مثل حرص الاستاذ على فضائله •• ان يعيش ويعمل بقلبين وعقلين •

ولكن ظلت « الفكر المعاصر » برئاسة وتوجيه الدكتور تؤدى مهمتها بنشاط وحماس ولزمن طويل •• لم يشعر خلاله الدكتور بأى قلق أو ازمة ضمير !

وحينما مات رجل التجربة وبطلها •• لم يقدم الدكتور استقالته ويتنفس الصعداء •• ولم يصمت أو يسكت تكفيرا عن الخطيئة التى تورط فيها • ولكن خرج بعمل فكرى نافذ هو عدد خاص من المجلة عن عبد الناصر يقيم البطل الذى ذهب وثورته وكل شىء عن حياة وفكر ودور عبد الناصر •

« مفهوم الثورة فى فكر عبد الناصر » •

« دور الممارسة فى فكر عبد الناصر » •

« شخصية القائد ووحدته الفكرية » •

« الثورة المصرية ومعنى الانتماء العربى » •

« الاشتراكية العلمية فى الفكر الناصرى » •

« الناصرية والعالم الثالث » •

« شخصية القائد من شخصية مصر » •

« جمال عبد الناصر ومفهوم البطل فى التاريخ » •

وهذه لم تكن مراثى عاطفية أو انفعالية ولكن دراسات

وابحاث عن مغزى الثــورة ودور عبد النــاصر فى صنع التــاريخ وتغييره •

وقد عرضت كلها ولاشك على رئيس التحرير ووافــق عليها لكى تطبع وتنشر •• وتحمــل بذلك مسئوليتها •• وليس هناك رئيس تحرير مجلة فكرية يحترم نفسه ينشر فى مجلته دراسات مناقضة تماما لرأيه ولرأى المجلة بغير أن ينص على أنها تعبر عن رأى كاتبها فقط •• ورؤساء تحرير المجلات والمنابر الفكرية خاصــة الرســمية الذين يصنعون عادة هيكل العدد وينسقونه ويختارون الكتــاب ثم يراجعون كل ما قدم لكى ينتقوا ما ينشر •

وليس هناك رئيس تحرير •• ومفكر صــارم النزاهة مثل الدكتور يرضى أن ينشر فى مجلة يرأس تحريرها رأى أو فكر زائف أو مفتعل منافق أو يرضى لنفسه أن يتنصل بعد زمن من مســئوليته عنهــا •

وقد جاء فى مقال بقلم احد المفكرين واساتذة الفلسفة الدكتور يحيى هويدى :

« عبد الناصر هو صانع مصر الثورة •• مصر المعاصرة، مصر العصرية مصر العربية مصر الاشتراكية والتى عــلى طــريق الاشــتراكية واذا كان من الحق ان نقــول ان الطاقات التى فجرها فى شعب مصر كانت كامنة فيه فمن الحق أيضا ان نقرر انه هو الذى جعلها تنبثق فى صورة جديدة وفى اطار جديد حتى خيل الينا معها اننا نراها لاول

مرة وهذا الاسلوب الجديد فى الفكر والحياة الذى قفزنا اليه بوجود الزعيم بيننا هـــو الذى يجعلنا لانكتفى بالقول بان عبد الناصر قد اعاد الينا الروح بل علينا ان نقول انه اعادها الينا متفتحة وذلك لان الروح قد تعود الى الافراد والشعوب وتظل مع هذا فى حالة ركود نعسانة اسوانة ، وقد تتقمص فى عودتها مخلوقات شوهاء وقد تعود عــلى العكس من ذلك فى حالة من التفتح والازدهار وليس من شك فى ان عودة الروح لشعب مصر على يد عبد الناصر تجسدت فى تلك الزهور الكثـــيرة المتفتحة والبراعم التى تنبض بالحياة والتى سقاها هو من افكاره وآماله شرابا طهورا ولعل هذا هو أثمن ما خلفه لنا » .

وفى مقال آخر عن الاشتراكية والعلم والفكر الناصرى وفى دراسة طويلة عن تطور فكر الثورة وعبد الناصر قال أستاذ كبير ، الدكتور فؤاد مرسى :

« هذه محـــاولة سريعة لاقتفاء خطى وتحـــديد معالم مفهوم الاشتراكية العلمية عند جمال عبد الناصر وليس لى فضل فيها سوى كتابتها لان صاحبها على الارجح هـــو جمال عبد الناصر نفسه ، وكأى مفكر كبير هو فى الوقت ذاته قائد الثورة ورجل الدولة ومن ثم كان شخصية غنية متعددة الجوانب . فيلسوف تخرج عنـــه تفسيرات شتى تذهب فيه مذاهب متعددة وبالطبع فأنما أقدم اجتهـــاده الشخصى هنـــا .. أننى أقـــدم فهمى الخاص لمفهـــوم

عبد الناصر فى موضوع بالغ الاهمية والخطورة هــ
موضوع الاشتراكية العلمية وفى تقديرى أن عبد الناص
وقد اكتملت صورته يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ قد صا
ملكا للتاريخ والبشرية جمعاء لايستطيع أن يحتكره أحد

ولقد حاولت ان اتتبع كل ما قال أو كتب منذ ٢٣ يوليو
سنة ١٩٥٢ وبخاصة حتى حرب يونيو سنة ١٩٦٧ حــيز
غطت قضية تحرير الارض المحتلة على القضية الاجتماعيا
وقد تبينت ان اهم الوثائق التى تحمل فكر عبد الناصر فى
الاشتراكية العلمية هى من حيث الترتيب الزمنى : اقواله
فى جلسات اللجنة التحضــيرية للمؤتمر الوطنى للقــوى
الشعبية ثم ميثاق العمل الوطنى ثم أقواله فى جلســات
المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ثم حديثــه فى جلســة
افتتاح دور الانعقاد الثانى لمجلس الامة فى ١٢ نوفمبر
ســنة ١٩٦٤ ومن الممكن ان نضيف بيــان ٣٠ مارس ،
كتصوير اخير لوضع القضية الاجتماعية فى اطار احتدام
المعــركة الوطنية » •

وبعد دراسة منهجية ينتهى الاستاذ الى : « اية خسارة
فادحة حلت بالاشتراكيين بفقد هذا المعلم العظيم الــذى
دأب بصــبر وجلد نادرين عــلى تبســيط ونشر حقائق
الاشتراكية على جماهير شعبنا طوال هذه السنين •• لقد
كان أول معلم نقل الاشتراكية الى وعى ملايين المصريين »

وهو كلام وقع عليه ووافق الدكتور فؤاد زكريا لكى ينشر فى مجلته .

وفى دراسة حول نفس الموضوع لاستاذ آخر معروف هو الدكتور ابراهيم سعد الدين يقول : « يعلن الميثاق ان الاشتراكية العلمية هى الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم وان أى منهج آخر لايستطيع بالحق أن يحقق التقدم المنشود .

« وقد اصر عبد الناصر دائما على تأكيد ان الاشتراكية العلمية هى منهجنا وانه لامنهج سواه يمكن ان يؤدى الى تحقيق التقدم والقضاء على التخلف .

« وفى مناقشات الرئيس فى اللجنة التحضيرية وفى المؤتمر القومى للقوى الشعبية يشير الى ضرورة الدراسة العلمية لمشاكل مجتمعنا باعتبارها الاساس الوحيد الصحيح لاستنباط الحلول الصحيحة لمشاكل المجتمع وتبين التأكيد على علمية الاشتراكية باعتبارها صفة اساسية للمنهج الاشتراكى الذى يطبق فى الجمهورية العربية .

« وقد صدر الميثاق بعد فترة من التجربة قاربت عشر سنوات وصفها عبد الناصر فى مناقشاته فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية بأنها كانت فترة تجربة وفترة ممارسة . كانت فترة مشينا فيها بالتجربة والخطأ ذلك لان الشعب الثورى بدأ زحفه الثورى كما يعلن الميثاق (من غير تنظيم سياسى يواجه مشاكل المعركة كذلك فان هذا الزحف

بدأ من غير نظرية كاملة للتغيير الثورى •

فالمبادىء الستة التى نحتتها ارادة الثورة من مطالب النضال الشعبى واحتياجاته لم تكن نظرية عمـل ثورى كاملة ولكنها كانت فى تلك الظروف دليلا للعمل يمثل عمق الارادة الثورية ، وقد تطورت هذه المبادىء الستة بفضل النضال الشعبى الذى راح يحركها بالتجربة والممارسـة وبالتفاعل الحى مع التاريخ القومى تأثرا به وتأثيرا فيه نحو برنامج تفصيلى يوضح طريق الثورة الى اهدافهـا اللامتناهية • والميثاق على هذا الاساس هو دليل نضال مجتمعنا فى مرحلة التحول الاشتراكى قدمه المناضـل عبد الناصر الى المؤتمر الوطنى للقـوى الشعبية ليكون اساسا لتوحيد نضال كافة القوى الثورية فى مرحـلة الانتقال الى الاشتراكية •

ان ميثاق العمل الوطنى باعتبـاره سلاحا للنضـال فى مرحلة الانتقال الى الاشتراكية قد عنى بأن يتعرض الى كافة القضايا الاساسية لنضال شعبنا المصرى باعتبـاره جزءا من امتنا العربية وباعتبارها جزءا من العالم المتخلف اقتصاديا ، والذى ينشد النمو وتحقيق توسيع قاعـدة الثروة الوطنيـة •

ولكن الميثاق باعتباره اساسا لتوحيـد كافة القـوى الثورية فى مجتمعنا قد تجنب فى نفس الوقت حسم عدد من القضايا ذات الطبيعة النظرية العـامة التى لاتؤدى

حسمها بصورة أو بأخــرى الى اية نتائج ايجابية فيمــا يختص بتوحيد القوى الثورية فى مجتمعنا والذى لايؤدى حسمها بالتالى الى اغنــاء كفاح شعبنا ونضاله » •

وهذا كلام وافق الدكتور على نشره فى مجلته وبعــد وفاة عبد النــاصر •

وفى مقال لفيلســوف ومفكر كبــير من اتجاه مخالف هو الدكتور عثمــان أمين ، جاء : « لم يكن دور الثورة المصرية ثورة يوليو ١٩٥٢ وعبد الناصر مقصورا عــــلى مصر وانما تجاوزه الى مناصرة قضية الحرية فى كل مكان ومؤازرة حركات التحرر الوطنى فى افريقيا وآسيا ودول العالم الثالث وهذه حقيقة لاتحتــاج الى بيــان فجميع المؤتمرات التى اشتركت مصر فيها والمساعى التى بذلتها فى المنظمات السياسية الدولية والاقليمية خير شاهد على الدور القيادى الذى اضطلعت به فى هذه الحقبة القصيرة من نضالها •

« كانت امانى الرئيس الراحل ان تستعيد مصر مكانتها لتلحق ركب الحضارة بل لتتقدم هذا الركب كمــــا كان شأنهــا فى ماضيهــا المجيــد •

وواجب الاحرار فى هذه البلاد ان يواصلوا السير فى هذا الطريق الثورى فى بصــيرة ومضــاء ، حريصين كل الحرص على أن يكون منهج الثورة عندهم كما كان عنــد زعيمهم ، ان يفكروا كرجال عمل وان يعملوا كرجال فكر »

ومجلات الفكر الرفيع عادة ، والاعداد الخاصة منهـا بالذات لاتصدر صدفة وانما هى تعبـير عن موقف المجلة ككل ازاء حدث كبير فاصل •• هى مساهمة المجلة فى تقييم الحدث أو توجيه المستقبل والعدد الخاص فى مناسـبة دقيقة لابد أن يكون بحثا وتعبيرا أمينا عن آراء محددة ، ويحمل مسئوليته أولا وأخيرا رئيس التحرير •

وعلى كل فقد تقدم رئيس التحرير كل الكتاب والمفكرين وأراد أن يكون اكثر شمولا واحاطة وان يقدم تقييما كاملا ليكون دليل عمل للثورة بعد « الفاجعة » •

« لقد اراد اعداؤنا ان يستغلوا احزان أمتنا على رحيل زعيمنا فحاولوا ان يتحكموا فى تشكيل المستقبل بأن يوحوا الينا بفكرة الفراغ والايحاء بفكرة الفراغ يعنى أننا لن نستطيع ان ندير أمورنا أو نوجه أنفسنا بعد ان غاب ذلك الذى كان يدير لنا كل شىء ويوجه كـل شىء هكذا اراد الاعداء ان يوهمونا وفى ظنهم ان تصديق هذا الزعم لابد ان يوقع الناس فى الاضطراب والخلط فى كل ما يفعلون •

كان التدبير المقصود من نشر فكرة الفراغ نفسيا قبـل كل شىء وذلك لان الفراغ بطبيعته مخيف انه هوة تهدد بابتلاع من يقترب منها وظلام يكتنفه من كل جانب وهو عجز عن الاهتداء الى الطريق وتخبط فى الاتجاه وفقدان للغاية من المسار وفضلا عن ذلك فان هـذا الفراغ الذى يزعمون وجوده ليس فراغا دائما كان هنـاك على الدوام

وانما هو فراغ مفاجىء طارىء وأصبحنا فجأة فى احلك الظروف واصعب المواقف انه فى حقيقة الامر تفريغ امتص الهواء الذى كنا نستنشقه وتركنا ونحن نفتقر الى اسباب الحيـــــاة •

من الفكرة التى يريد اعداؤنا ان يشيعوها بيننا ينبغى ان تكون نقطة انطلاقنا فهل نحن حقا فى فراغ •• وهـــل المشكلة الحقيقية التى يعانيها شعبنا بعد غياب القائد هى ان كل شىء يحيط بنا ظلام وان الطريق قد انقطع فجـــأة أو انتهى الى هوة سحيقة توشك على التهام كل من يحاول مواصلة الســـير فيـــه •

« ان الفكر الواعى والتحليل الامين للموقف كفيـــــل بأن يؤدى بنا الى الوصول الى نتيجة هى عكس النتيجـــة الســـابقة على خـــط مســـــتقيم فاذا نظرنا الى الحاضر والمستقبل بعين فاحصة تبين لنـــا ان أول ما يتســـما به بالقياس الى الماضى هو الامتلاء لا الفراغ •• وحســـبنا ان نعقد مقارنة بسيطة بين اتجاهات عقولنا قبل عام ١٩٥٢ وبين اتجاهاتها الراهنة لندرك مدى الامتلاء الذى أصبحت حياتنـــا تتسم بـــه •

« ان الوصف الصحيح لموقفنا الفكرى بعد غياب القائد هو الامتلاء لا الفراغ ومن المؤكد ان للامتـــلاء مشكلاته ولكنها أيا كان تعقيداتها ليست مشـــكلات ولدها الهـــزال والعقم كمـــا يتصور أصحاب نظرية الفراغ وانمـــا هى

مشكلات تولدت عن الخصوبة والثراء والتنــوع الفكرى الذى لابد ان يتميز به العصر الذى نجد أنفسنا الان على ابوابـــه » •

وقام الدكتور الان ليتنصل تماما من أى مســئولية عن نظرية الامتــلاء ووصفها بأنهــا « مقــال كــان لابــد منه وفى اللحظة التى كتب فيها لابد ان تكون لهجته مخففة لاخوفا من شىء بل احتراما لجلال المــوت » •

والاستاذ الصارم الضمير قد يخدم جلال الموت بمرثية أو قصيدة ولكن ليس ببحث ينتهى الى نظرية يقول انهــا تقوم على « الفــكر الواعى والتحليل الامــين والوقائع الموضــوعية » •

ويستنكف الدكتور ان يذكره احد بالمقال قائلا «لايصلح ان يحاسب أحد على مايقوله فى كلمة تأبين • الا يتبــع الجميع فى مثــل هــذه الظروف قاعــدة اذكروا محاسن موتاكم » !

بل ويسأل « هل من الامانة العلمية بل والاخلاقية ان تختار هذه المناسبة بالذات •• وهل يمكن ان يكتب تاريخ اى تجربة فى الحكم أو يحكم على زعيم من خلال كلمات الرثاء التى تقال بعد الوفاة مباشرة » •

ويثور الدكتور لان مقالا بغير امضاء فى رثاء عبد الناصر قد نسب اليه خطأ ويتخذ ذلك مثلا صارخا لما يلحق بــه من اذى وان الذين يكتبون ضــده لايســتطيعون تمييز

« اسلوبه التقريرى » من أسلوب المقـال « الشاعرى » ويهـدد الكاتب الذى وقع فى اللبس .

« ما رأى الاستاذ أبو سيف يوسف فى أن كل من قـرأ لى شيئا يعرف أن أسلوبى التقريرى المباشر لا يتسـم للاسف بشىء من شاعرية أسلوب الدكتور مكاوى .. وأنت تعلم يا أبا سيف أننى كنت أستطيع أن أصنع من هـذه السـقطة فضيحة .. واننى كنت اسـتطيع ان أكتب فى السخرية من استنتاجك وما يتبعه من نتائج صفحتان على الاقل . ولكننى سأكتفى بتقرير الحقيقة واسكت مراعاة منى لآداب المناقشة وتمسكا بفضيلة العفو عند المقدرة » .

وفضائل الدكتور متدافعة أكثر من أن تعـد أو تحصى وليس بينها التواضع أو الموضوعية !

ويعثر الدكتور فى النهاية على الحجة التى يفحم بهـا خصومه ويشهرها ضد الماركسيين خاصـة « الا تذكروا كلمات الرثاء الرائعة التى قالها عن ستالين فى عام ١٩٥٣ نفس أولئك الذين أدانوه عام ١٩٥٦ » .

وقد شبه عبد الناصر وهوجم بأنه هتلر وكان أول من قال بهذا « جى موليه » ثم « ايدن » خلال ازمة السويس وقد دعـا الشعب المصرى الى ان يثـور ليتحـرر من « الفاشية » الجديدة وأعلن بأنه « لامهادنة مع الفاشية المصرية وان مهادنة هتلر كانت سببا فى الحرب العالميـة الثانيـة .

وكانت المقارنة مفلسة مفتعلة !

وقد كان أول من عقد المقارنة بين عبد الناصر وستالين هو دكتـــور من غـــلاة واقطاب اليمين « وحيـــد رأفت » وبنفس النتائج التى انتهى اليها الدكتور « اليسارى فؤاد زكـــــريا •• » !

وقضية ستالين مختلفة فى الشكل والجوهر وهى تاريخ وتراث لايتصل من قريب أو بعيد بمـــا حدث فى مصر •• والمفكر العالم لايلقى بالمقولات والقضايا بغير ان يشفعها بالحجج وبأوجه المقارنة ثم نتائجهـــــا •

وعلى كل اذا كان رفاق ستالين قـــد اخطأوا فى ســـنة ١٩٥٣ أو سنة ١٩٥٦ فليس هذا مبررا لكى يكرر الدكتور الخطأ ولـــم يصبح هـــذا التصرف قانونا سياسيا يطبق دائمـــــا •

وكلمات الرثاء التى قالها رفاق ستالين حينما مات كانت كلمات رثاء •• لم تكن نظريات جديدة ابتكروها بمناسبة موته •• وحينما ارادوا ان ينقدوا ستالين وأخطاءه لـــم يقفوا ليشهروا به امام العالم •• ولكن فى جلسة سرية من مؤتمر الحزب الشيوعى السوفييتى وفيما بين الشيوعيين وبعضهم ومن أقطاب الاحزاب الشيوعية • كان نقدا فى اطار الايمان والثقة بالتجربة والثورة وبأن اخطاء ستالين كانت اخطاء سوف تتجاوزها التجربة وبقوتهـــا الذاتية وقدرتهـــا الخـــــلاقة •

لم يقف أحد ليلعن الثلاثين عاما من حكم ستالين وانها لم تحقق شيئا وانها قضت على روســـيا وخربت روح الانســان الروسى •• وانه كان على كـل الشــيوعيين الصالحين أن لايشاركوا فيها بل ان يقاوموها •• ويرفعوا راية الحرب عليها ! مثلما فعل الدكتور •• هنا

وبعد بعض الوقت وحينما أدى الشطط فى نقد ستالين الى انحرافات من نوع آخر ، أعيد التقييم أكثر موضوعية واعترف بانه مهما كانت الاخطاء نحو الشرعية الاشتراكية والقيادة الجماعية الا ان ستالين قاد بناء الاشتراكية فى روسيا •• وكان له الفضل فى النجاح وان ستالين قـــاد الحرب الوطنية ضد المانيا •• معركة الحياة والموت لروسيا وكان له الفضل فى النصر • وتصـــدر تباعا الدراسات والكتب والافلام التى تضع الحقائق فى نصابها الصحيح •

ويستغرب الدكتور ببراءة روحه كيف يســتنكر بعض الناس ان يغير موقفه ورأيه الآن •• أليس له الحــق فى ذلك لانه « بعد خمس سنوات لابد ان نفتح امام الذهن آفاقا جديدة وان نلقى على التجربة الســابقة مزيدا من الضوء » ولايستغرب احـد ان يغير الدكتــور أو يطور مواقفه بعد خمس سنوات « مضيئة » ومشرقة •• كشف ضوءها كل شىء ولكن ما يستغربه الناس ان يتحـــول الاســـتاذ من النقيض الى النقيض وان لايقــدم اى اكتشافات أو اسباب كانت خافية دفينة لم يعرف بهـا

احـــد قبـــل الان •

وما يستغربه النـــاس هـــو ان يتحـــول من الحماس الكامل •• الى الرفض المطلق •• بعد خمس سنوات •

وما يستغربه الناس ويستثير ريبتهم ان تتفتح الآفاق الجديدة امام الدكتور فى الوقت الذى تشن فيه حمـــــلة محمومة ضد اشتراكية « عبد النـــاصر » وتريد استعادة اراضى الاصلاح الزراعى التى اغتصبت بغير حق وتريد استرجاع القطاع العام الذى أمم لاصحابه وتريد الغـــاء حق التعليم لابناء الفقراء •

وقد يغضب الدكتور ان نتهمه بأنه لعبة فى يد اليمين أو اداة لهم ولكن •• أية خدمة لليمين أجـــل من أن يشـــكك الاشتراكيين كلا منهم فى الآخر ، وان يثير كل جماعة منهم ضد الاخرى ، وان يشكك فى كل ما أعتقدوا انهم حققوه ، وانجـــزوه •

لقد عجز كتاب اليمين المفلسين عن ان يفعلوا هذا وان يفقدوا الناس الثقة وليس هناك أثمن من أن يعثر اليمين على « شاهد ملك » يقف على منصة عالية ليقـــدم شهادة يلعن فيها كل ما حدث •• هذه شهادة لاتقـــدر بثمن ولا يتردد اليمين فى ان يحتمل بضعة كلمات وشتائم جوفـــاء توجـــه اليه أيضـــــا •

وقد كان هناك كثيرون من مؤيدى الثـــــورة وتجربة عبد الناصر لهم تحفظات كثيرة وجوهرية وكان هناك كثير

من خصوم عبد الناصر « الوطنيين » لهم آراء وتفسيرات معارضة ولكن ازاء الحملات المشبوهة والتى تهدد كل شيء قرروا ان ينتظروا وأن يؤجلوا نقدهم وان ينضموا الآن للدفاع عن الاسس العامة المهددة •

ويقول الدكتور وهذا هو محور مقالاته « ان همه الاول والاخير هو تنبيه اليسار الى الحقيقة • وليس هناك وقت انسب من الوقت الحالى لتنبيه اليسار الى الحقيقة قبل فوات الاوان » •

وهو قد كان دائما •• ومن البداية الى النهاية يتمنى « ان يسير اليسار فى طريقه المستقل ويكشف مدى تباعد التجربة (الناصرية) عن الاشتراكية بمعناها الصحيح » وقد خيب اليسار أمل الحكيم « ان الردود التى قرأتها تجعلنى أميل الى التشاؤم من قدرة اليسار على الخروج من جموده القديم » •

واليسار الذى يعنيه هنا والذى نذر نفسه لتقويمه هو اليسار الماركسى • وهو يريد ان ينبهه الآن الى خطأ جسيم وقع فيه فى الستينيات •• والدكتور ليس غريبا على هذا اليسار الذى يرى ان هذا هو أنسب الاوقات لمحاسبته وتنبيهه •• وهو كان وثيق الصلة به وبمفكريه وكتابه فى تلك الفترة •• وكان يستكتبهم فى مجلته •• بل ويحرص على ان يساهموا لاقصى مدى فى تحريرها

ولايكاد يخلو عدد من مقالاتهم ودراساتهم •• ومعظمهـا حول التجـربة واصالتهـا وقدرتهـا على الانتقـال الى الاشتراكيـة •

وقد كان أنسب الاوقات لتنبيههم هو قبل ان يتورطوا فى الخطأ القاتل خاصة وهو كان يعرف منذ البداية عيوب التجربة حينما كان اليمين يحرق لها البخـور واليسـار بالطبـع !

ولاندرى كيف سمح له ضميره ان يسكت سنين طويلة على خطيئة اليسار الكبرى بل وان يشجعهم على التمادى فيهـا •

السقطة

كانت السقطة وأولى الكبائر فى نظر الدكتور هى التى تفضل مشكورا باهدائها لى خاصة « تعليقا على الرواية التى نقلها محمد عودة عن رغبة عبد الناصر فى بناء حزب ثورى يضم الماركسيين المصريين بعد حل الحزب الشيوعى المصرى ، أقول بعد القرارات الاشتراكية بسنتين كاملتين وقع انقلاب على صالح السعدى فى العراق وذبح من اليساريين حتى المعتدلين منهم عشرات الآلاف فى ليلة واحدة •• وفى هذه الليلة كان الاعلام المصرى وعلى رأسه جريدة الاهرام بكل ما كان يربطها من علاقات خاصة بقمة السلطة أشبه بغرفة عمليات تتابع تطورات عملية ذبح اليسار ساعة بساعة وتصفق لها مهللة فهل يمكن ان يصدر تصرف كهذا عن جهاز أقترب من اليسار ولو الى ربع الطريق وهل يظل من الممكن بعد ذلك ان يفرج عن اليساريين كنتيجة طبيعية لتقارب التجربة الناصرية معهم » •

ويدخل الدكتور هنا بطرف جديد فى القضية وهو البعث ، لقد كان همه نفى الاشتراكية واليسارية عن الناصريين واثبات استحالة التحالف أو التعايش بينهم

وبين الماركسيين ولكنه تعزيزا للادلة جاء بطرف ثالث ودليل دامغ •• مشفوع بدم عشرة آلاف شيوعى •

والناصريون والبعثيون والشيوعيون قوى اساسية للثورة العربية بل هم القوى الاساسية وبنفس الترتيب ويعتمد نجاح الثورة واستمرارها على قدرتهم على التحالف والتعايش بل والتفاعل وعلى امكانهم ابتداع صيغ عربية وخلاقة تخصب الفكر والتطبيق •• وقد نشب الخلاف فيما بينهم فى مراحل وفترات كثيرة ولأوقات طويلة ووصل الى اقصاه فى العراق خاصة ودفع جميع العرب والثوريين الثمن باهظا وكان طبيعيا ان يصلوا فى النهاية الى النتيجة الوحيدة وهى ان الاهداف المشتركة تحتم طرق عمل وكفاح مشتركة وانه ليس لهم الا ان يكافحوا معا أو ان يهلكوا منفردين واحدا بعد الآخر •

وعلى هذا الاساس قامت فى العراق ــ حيث نشبت المذبحة التىيتشفى بها الدكتور ــ جبهة وطنية من البعثيين والشيوعيين والقوميين والاكراد هى التى تحكم والتى يعتمد عليها فى الحياة السياسية هناك •

وقامت قبلها فى سوريا جبهة وطنية من البعثيين والشيوعيين والناصريين وكل القوى الوحدوية وكانت دعامة الاستقرار السياسى فى سوريا حتى الان •

وفى مصر تتأكد القوى الناصرية والماركسية وكل القوى الوطنية التقدمية يوما بعد يوم ان حماية الثورة وضمان

الاشتراكية مرهون بقدرتهم على العمــل معا فى الاطار الملائم والذى يمكن ان يسعهم جميعا وليس لهم طــريق آخـــــــر •

ولايثير قوى الثورة المضادة شىء مثــل وحــدة قوى اليسار وهى قد استمدت بقاءها أولا من صراعات اليسار ولابد ان تستميت بكل الوسائل لكى تتبش دائما التاريخ، ولتثير كل الشكوك وتوقظ كل أســباب الخلاف • هــكذا يساهم الدكتور •• ودكاترة كثيرون مثله بدور هام •

ويتشدق الدكتور كثيرا « بالحقائق التاريخية » ويستمد منها كل براهينه ولهذا نقدمها اليـــه •

حينما حدث الانقلاب فى العراق سنة ١٩٦٣ كانت كل الصلات والعلاقات مقطوعة تماما بين عبد الناصر والبعث•

وقد اشتدت الازمة منــذ اســتقالة وزارة البعث من حكومة الوحدة ثم حدثت قطيعة كاملة بعد الانفصـــال • وقد أيد البعث الانفصال وكتب البيان السياسى للحكومة الانفصالية أحد قادة البعث « صلاح البيطار » ووقعـــه باسم الحزب ومع قوى اليمين واليسار الســورية التى شنت الحملة على الجمهورية العربية المتحدة قام البعث بحملة تميزت بضراوتها وفاقت كل الحملات •

وتطــرف أحــد قــادة البعث ونائب ســابق لرئيس الجمهورية العربية المتحدة « أكرم الحورانى » وأكد أن عبد الناصر منذ البدايةرجل اسرائيل والصهيونية وأنه جاء

لينفذ مخططاتها •• وكان أول وآخر من قال بهذا وجرؤ عليه ودفع كل حياته السياسية ثمنــا !

وكان البعث قد أنتهى فى ذلك الحــين الى ان خصــمه الاساسى وعدوه فى الوطن العربى هو عبد الناصر وأنــه استولى على شعارات البعث وجماهيره وتخلص منهم بعد ذلك وكان الحزب يعمل للعكس ، أن يستولى على الجماهير الناصرية وعلى القيــادة •• ولهــذا انصب كل الهجــوم لابطال سحر عبد الناصر على الجماهير •

وكان هذا هو السائد حتى الانقلاب ، وحينما قــــام البعث بالانقلاب فى العراق ثم فى ســوريا كان يريد ان يقيم ســلطة فى مواجهة عبد الناصر وثأرا منه وبعيــدة تماما عنه • ولم يكن ممكنا لمصر فى ذلك الحين ان يكون لها دخل باحداث العراق لا ان تديرها وتوجهها •

وحينما وقع الانقلاب كان العراق منقسما بين معسكرين يتربص كل منهما بالاخر ، عبد الكريم قاسم والشيوعيون فى معسكر والقوميون ويتصدرهم البعث فى المعســـكر الاخـــر •

وكان الحقدوبحر من الدميفيض بين الطرفين • بالنسبة للقوميين وقف قاسم والشيوعيون ضد الوحدة والقومية العربية وهى محور حياة العراق وتاريخه وكان لابــد ان تتحقق بعد الثــورة ١٩٥٨ مباشرة وبالنســبة لهم كــان الشيوعيون مسئولين عن الاغتيــالات والمذابح الكبيرة فى

كركوك والموصل والتى ألقى قاسم مسئوليتها علنا علـى الشيوعيين وقرر محاكمتهم • وبالنسبة لقاسم والشيوعيين كان القوميون والوحدويون يريدون القضاء على سـيادة العراق وعلى الحزب الشيوعى بتأييد من دمشق والقاهرة ويريدون وضع العراق تحت حكم عبد الناصر !

وكانت العلاقة بين قاسم والشيوعيين متعثرة ومتوترة ولكنها كانت ضرورة للاثنين •• كان حكم قاسـم معزولا وكان الشيوعيون هم سنده الشعبى الوحيد •• وبالنسبة للشـيوعيين كانوا يرون البديـل الوحيد هـو البعث والقوميون •• كان قاسم هو « السوء الافضل » !

وحينما حدث الانقلاب مفاجئا الجميع فزع الشيوعيون ونزلوا على عجل بقوتهم واسلحتهم الى الشارع دفاعا عن قاسم والحكم القائم •• واستماتوا فى الدفاع •• كانت حربا أهلية بين طرفين حول السلطة •• لم تكن مذبحة انقض فيها فريق على الآخر غير المسلح •• ولم يسقط فى القتال عشرات الآلاف ولا يعرف احد العدد بالضبط وهو على حسب تقدير البعث بضعة مئاتوحسب تقدير الطرف الآخر لا يزيد عن ثلاثة آلاف وهو بالطبع لا يخفف من المأساة ولكن يكشف دقة الدكتور !

وبعد فشل الشيوعيين ونهاية قاسم بدأت سلسلة مـن الاغتيالات استمرت بعض الوقت •• وكانت تصـفية لحسابات المعركة ولحسابات كركوك والموصل ، وقد تكون

اليمة ومؤسفة يستنكرها الجميع ولكن لا يمكن ان يلقى احد مسئوليتها على مصر أو على جريدة الاهرام •

ويستمدالدكتور دليله على مسئولية مصر من ان جريدة الاهرام ذات الصلة الوثيقة بقمـــة الســلطة تحــولت الى غرفة عمليات ليلة الانقلاب •• ويعنى انها تحولت الى غرفة القيادة التى أدارت المذبحة ولكن لم يكن غريبا ان تتحول الأهرام الى غرفة عمليات « صحفية » • كان حدثا هز العالم العــربى ولابد ان تعلن فيــه الطوارىء فى أى جريدة كبرى •• ولكن لم يكن الاهرام ولا قمة السلطة فى مصر يصدر أوامر وتعليمات « الذبح » أو يستطيع ان يفعل !

وبعد الانقلاب فى العراق حدث الانقلاب فى سوريا وقد اشترك فيه ضباط كثيرون وحدويون ناصريون كانوا لازالوا فى الجيش السورى منذ الوحدة ومن المؤمنين بقيادة عبد الناصر ولكن كان العمل الاول للبعث بعد نجاح الانقلاب هو تصفية هؤلاء الضباط تصفية دموية أو سياســـية واقصائهم من الجيش ومن كل الحياة السياسية •

وقد جاء البعث العراقى والسورى بعد تولى السلطة الى مصر ليبحث وحدة ثلاثية مع مصر وكان هذا هو الظاهر وكان سببه ان كانت الجماهير العربية خاصة فى العراق وسوريا تتطلع الى مصر والى عبد الناصر ولا تتطلع الى احد آخر •• وكانت الجماهير لاتثق فى حكم أو نظـــام

لاتباركه مصر ولايقبله عبد الناصر •• وقد جاء البعث فى العراق بعبد السلام عارف واجهة سياسية لهذا الهدف • وكانت الجماهير فى سوريا فى لهفة على عودة الوحـــدة وتتصور عودتها مباشرة بعد سقوط الانفصال وتحت هذا الضغط جاء البعث الى القاهرة لبحث الوحدة مع عبد الناصر ودارت المباحثات الثلاثية المشهورة •• وقد نشرت محاضر هذه المباحثات بعدئذ كاملة وقدمت وثيقة من أهم وثائق الثورة وقد رأى عبد الناصر ان يكشف المناورة وان يضـع كل أفكاره وسياسته ومواقفه صريحة فى مواجهتهم وان يحدد « الناصرية » فى مواجهة البعث وامام كل العرب وقد جعل هذا من الوثيقة عملا فذا افحم الطرف الآخر •• ولو كلف الدكتور نفسه عناء قراءتها لتورع كثيرا عن معظم افتراءاته •

وقد فشلت مباحثات الوحدة •• كما كان مقدرا لها ان تفشل وعاد البعث الى بغداد ودمشق أكثر حقدا وعداء لعبد الناصر • والقى كل المسئولية عليه وبدأت حملة اشد ضراوة •

وكانت مصر فى ذلك الحين مستغرقة فى عمل مجيد وهو حرب اليمن وكانت تبذل الدم والجهـد غزيرا فى شـبه الجزيرة ولكن البعث « محرر الامـة العربية وموحدها » لم يجد بأسا فى ان يشدد الهجوم على عبد الناصر وعلى الحـرب نفسها !.

وادى هذا الى الانقلاب على البعث فى العراق بقيادة عبد السلام عارف وادى بعد ذلك ببعض الوقت الى ثورة على الثورة فى داخل البعث بسوريا اطاحت بالقيادة القديمة المتخلفة ولاقامة بعث جـديد لا يعيش بالعـــداء لمصر وعبد الناصر !

ولا بد لهذا ان نعيد الهدية للدكتور وان نطلب منه شرحا أكثر تفصيلا كيف سخر عبد الناصر البعث فى العراق لذبح عشرة آلاف شيوعى •• وليقدم لنا دراسة « دسمة » من دراساته !

واخيرا •• فان الانقلاب فى العراق قد تم فى سنة ١٩٦٣•

والافراج عن الشيوعيين المصريين حدث ســنة ١٩٦٤ وحل الحزب الشيوعى المصرى تم سنة ١٩٦٥ ولا ندرى اين الغرابة فى ان يقوم التفاهم والتحالف حينئذ •• وهو لم يقم قبل « المذبحة » أو خلالها ليخرج الدكتور بنتائجه•

وأى عجب فى أن يبدأ عبد الناصر الطريق الذى انتهى اليه البعثيون والشيوعيون والقوميون •• وخاصة اطراف المذبحة « الرهيبة » فى العراق التى يعتمد عليها الدكتور فى أهم ادلته !

ان الخلاف والصدام بين القوى الوطنية والثورية قد يكون مؤسفا ومؤلما ولكنه واقع • وانتهاء هذا الخلاف والصدام نهايات ايجابية بالاتفاق والعمل المشترك فى كـل الصيغ والصور •• ليس امرا مستغربا والعلاقات بـين

القوى الوطنية والثورة ليست علاقات ذاتية أو شخصية ، والصدامات بينهـا ليست ثأرا فرديا •• ولكنهـا قضايا موضوعية تحكمها قوى وقوانين هى التى تحكم المجتمـع وحركة التاريخ •

وحينما تكون الاهداف مشتركة فلابد ان يكتشف كـل الاطراف حتمية التحالف والتكامل •

وقد يكون من حق كل قوة أو حزب ان يكـون له استقلاله الذاتى أو تميزه الخاص أو طرقه واهدافه الخاصة وقد يكون له حق النقد والمعارضة ولكن لا تستطيع أى قوة وطنية أو ثورية ان تعمل وحدها خاصة فى واقعنا العربى أو ان تحتكر « الثورة » لنفسها أو ان تضع نفسها فوق كل القوى الاخرى أو ضد كل القوى الاخرى •

وقد كان من أهم الدروس التى علمها لينين للماركسيين والتى جعلها محورا لاثبات قدرتهم السياسية والثورية هى العمل مع القوى والاحزاب الاخرى •• واقامة الجبهات وعقد المحالفات القصيرة والطويلة المدى والاتفاق على خطوط أو برامج مشتركة وقال لينين ان التاريخ لا يسير فى طريق مستقيم بل حافل بالانحناءات والمنعطفات ولابد للثوريين ان يتعلموا السير فيها • ونصح لينين ماركسيى الشرق الذين يكافحون فى واقع وظروف مختلفة ومعقدة ان يلائموا النظرية لواقع بلادهم ومجتمعهم !

ولكن الدكتور الاكثر حرصا على الماركسية من لينين يريد

ان يثبت للماركسيين ان تحالفهم مع الناصريين كان خيانة للثورة وللاشتراكية وان عليهم ان يعلنـــوا ندمهم وان لا يكرروا الخطيئة •

ويشعر الدكتور بالتشاؤم لان الماركسيين لم يستجيبوا لدعوته ولاشيء يبعث تفاؤله مثل أن ينقلب الماركسيون على الناصريين وأن يشهروا بهم وان يقــوم الناصريون بالرد وان يستغرق الطرفان فى حرب عنيفة •• هى أشد مايسعد به اليمين تماما كما يسعد به الدكتور •

ويتشفى الدكتور بالشيوعيين قائلا « آسف أشد الاسف لاننى لا استطيع ان اشترى لكم الراحة النفســـية على حساب الحقيقة التارخية » •

ولكنه يفعل ذلك بأشد اليسر وبلا أى حرج اذا ماتعلق الأمر براحته النفسية ، وشفاء أحقاده وضغائنه الصغيرة•

الســــقطة الثـــانية

والكبيرة الثانية والاشد خطبا والتى اصابت الدكتور بالدهشة والالم كانت الرأى فى نكسة ٥ يونيو •

« احسست بالدهشة والالم حين قرأت منشور الدعاية الطويل الذى كتبه الاستاذ محمد عودة عن السياســـة الخارجية فى عهد التجربة الناصرية والذى جعـــل فيه السياسة الخارجية هى المحك الوحيد لنقد الثورة •• فقال بالحرف الواحــد : يقاس نقد الثـــورة اذا كان علميا وموضوعيا ونزيها بانجاز واحد هـــو ما حققته للقضـــية المصرية ، متجاهلا بذلك كل المقاييس الاخـــرى المتعلقة بحياة الانسان وأمنه وطمأنينته وحرياته ومأكله وصحته وتعليمه بل متجاهلا التداخل الوثيـــق بين هـــذه العوامل الداخلية وبين أى تحرك يمكن تحقيقه بالنسبة الى القضية المصرية •• والامر المؤسف هو ان الاستاذ عودة لم يعمل أى حساب لذلك الانهيار الذى طرأ على معياره الوحيـــد وهو القضية المصرية بحيث اعادها نصف قرن الى الوراء بعد ٥ يونيو ووصل ذلك التجاهل الى ذروته حين قال اذا كانت قد حدثت أخطاء فى السياسة الخارجية المصرية أو الدولية فانها لم تقض علينا ولم تكسرنا ولكنها عركتنا » •

وحمل الدكتور النفير ليعلن « أرأيتم الى أى حد يزيف اليسار المصرى تاريخنا بعد ٥ يونيو » •

وقـد احسست بالدهشـة بدورى ولـكن مع الرثاء والاسى •• ولا احد يعرف القضية المصرية الآن بانهـا القضية الوطنية وتحرير أرض الوطن فقط ، سوى الدكتور نفسه ، وهذا تعريف تقليدى كان سـائدا حتى سـنى الثلاثينيات والاربعينيات من هذا العصر وذلك حينما كانت البورجوازية الوطنية هى التى تقود وحدها النضال الوطنى وكان الباشوات والبكوات الوطنيون هم القادة وحدهم وكان المحتوى الاجتماعى للوطنية لازال محدودا وكان الشعار السائد هو تحرير الاقتصاد من يد الاجانب أى نقل الثروة من الرأسماليين الاجانب الى الرأسماليين الوطنيين • ولكن لم يعد هذا التعريف قائمـا أو صحيحا ولا يستعمله احد و « اليساريون » خاصة !

وقد أعلنت ثورة يوليو منذ البداية ان القضية المصرية قضية مزدوجة ذات وجهين يرتبطان ارتباطا عضويا وهى قضية وطنية واجتماعية معا ، وكان هـذا أهم خصائصها وما منحها قوة الدفع التى صمدت وتطورت بها الى أبعد مدى وفى المبادىء الستة وهى أول برنامج لها كان نصف البرنامج حول المضمون الاجتماعى للكفاح الوطنى وتبدأ بتصفية الاقطاع والغاء الاحتكار وسيطرة رأس المال ثم

اقامة عدالة اجتماعية ولم تقف الثورة عند هذا الحد ..
وسارت حتى الاشتراكية العلمية فى الميثـاق الوطنى ..
وهى قد اكدت فى كل خطوة ان تحرير الارض انما يعنى
تحرير الشعب وان تحرير الشعب مقدمة ونهاية لتحرير
الارض .

ولم يكن ممكنا أو معقولاً الدفاع عن ثورة ضد هجمة
الدكتور الكاسحة باغفال أهم اركان الثـــورة والتجربة
الناصرية كما يسميها .

ويتحدث الدكتور كثيرا عن الامانة العلمية ولكنه لايضرب
مثـــلا .

وقد كتبت صراحة وضمنا عن القضية المصرية فى هـــذا
الاطار ولايمكن ان يفهم أحد ان القضية المصرية كمـــا
طرحتها فى هذا الحوار مع الدكتور الذى يهاجم أساســا
اشتراكية الثورة يمكن ان تكون القضية الوطنية وحدها ..
وتحرير الوطن من الاحتلال فقط وبغير تحرير جمـاهير
الشعب من الاستغلال .

قلت فى نفس البحث الذى يستشهد الدكتور بفقراته..
والمنشور هنا .

« ان نقد فيلسوف ومفكر للثورة وتقييمهـا يجب أن
يكون نقدا علميا قائما على منهج وموقف ورؤية واضحة
ولابد أن يبدأ بنقد فكر الثورة ثم تطبيقاتها وسياستهـا

وبهذا يستطيع أن يكشف عن طبيعتها فاشـــية كانت أم اشتراكية • وهل كانت متناسقة متكاملة نظريا وعمليا أم كانت منفصمة زائفة » •

وقلت أيضا فى نفس الفصل الذى انتزع منه الدكتور فقرته « كان للثورة خطوطها السياسية الثابتة وتطبيقاتها وهى اجلاء الاستعمار القديم وصد الاستعمار الجديد • وفى الداخل كان للثورة هدف واحد هو تصفية المجتمـع القديم المستغل واقامة مجتمع يحقق العدل والرخاء » •

بل وكانت أول فقرة بدأ بها هذا الفصل هى « هـــل كانت الناصرية فاشية ســـحقت مصر والمصريين •• أم كانت ثورة وطنية اشـــتراكية حـــررت ملايين مصر المسحوقة » •

ولم يكن هذا تحديدا للقضية المصرية وتعريفا لهـــا بأنها القضية الوطنية فقط باستبعاد القضية الاجتماعية•

وينتزع الدكتور فقرات يضعها فى اطار مختلف لاثبات مايريد وليس هذا أرفع صور الأمانة العلمية !

ويستفظع الدكتور تماما ويستنكف أن نقول أنهزيمة يونيو قد عركتنا ولم تكسرنا وأن يصل بنا الزيف وتزييف التاريخ الى هذا المدى !

وهذا القول شائع معروف ويصح فى حياة الافـــراد

كما يصح فى حياة الشعوب • وهو يقول ان المصـــائب التى لا تكسرنا تصنعنا •• وقد انطبق ولم يرفضـــه ويكذبه أحد قبل الدكتور •

واذا كانت نكسة ٥ يونيو لم تعركنا ومن الافتراء على التاريخ وتزييفه أن نقول هذا •• فلابد وانها قضـت علينا ولم تبق ولم تذر !

و ٥ يونيو كارثة وأكبر الكوارث وأشدها ولكنهـا لم تكن القاضية •• وهى ليست الوحيدة الفريدة فى نوعها والتى لم تحدث الا فى مصر وبسبب النظام الـــذى كان قائما •

وحياة الشعوب وتاريخها وخاصة الشعوب العريقـة هو تاريخ الانتكاسات بقدر ماهو الانتصـــارات التى حدثت • ويحفل التاريخ القديم والحديث بالامثلة التى لا تنتهى • وفى الحرب العالمية الثانية وصلت القـــوات الألمانية الى مشارف موسكو وعلى بعد ٢٨ ميلا بالضبط منهـــا •

ومنذ قام النظام النازى وهو يؤكد أن هـدفه الأول والأخير هو شن حرب صـــليبية على « البلشـــفية » ولاستئصالها « نهائيا » وفصل هتلر فى انجيله السياسى كتاب « كفاحى » الخطة نظريا وعمليا • وكان الاجهـاز على البلشفية فى نفس الوقت خطة (التوسع شرقا) الى آسـيا عن طريق أوكرانيـا الروسـية وهى استراتيجية

الامبريالية الألمانية منذ بدايتها ٠

وكان قادة الاتحاد السوفييتى يعرفون هذا تمام المعرفة وكانت كل خططهم وسياساتهم فى البناء والدفاع تقوم على اعداد الاتحاد السوفييتى للمواجهة المحتومة مع « النازية » ٠

وقبل الهجوم ببضعة أشهر أبلغ ايدن وزير الخارجية البريطانى ستالين بأن المعلومات المتوافرة لدى المخابرات البريطانية تؤكد أن الهجوم الألمانى سيبدأ فى صيف سنة ١٩٤١ على روسيا ٠

وحصلت المخابرات السوفييتية على وثائق ومعلومات تثبت هذا الرأى وتؤكده ٠٠ قدمتها الى القيادة وقبل الهجوم بيوم واحد هرب جندى ألمانى « شيوعى » من وحدته وعبر الى الحدود السوفييتية وكشف لهم السر أن أوامر الزحف قد صدرت وان الهجوم سيقع فى الغد ٠

ومع هذا وقعت الكارثة واجتاحت الجيوش النازية روسيا البيضاء وأوكرانيا أهم جمهوريات الاتحاد السوفييتى واستطاع الطيران الألمانى أن يقضى على معظم الطيران السوفييتى على الارض ووصلت القوات النازية منتصرة حتى ضواحى موسكو ٠ وأعلن معلقون عسكريون كثيرون بل وأقطاب سياسيون أن المعركة لن تستغرق أكثر من أسبوعين وأن روسيا « البلشفية »

قد انهارت وانتهت •

وبعد الصدمة الأولى والقاصمة نهضت روسيا ثم ردت ثم قلبت الميزان وانتهت قواتها فى قلب برلين !

وحدث الشيء نفسه للولايات المتحدة الأمريكية •

كان الصراع حول المحيط « الباسفيكى » •• ثم على آسيا ، محور الحرب بين الولايات المتحدة واليابان وكان كلاهما واثقا من حتميتها •

وقد بنت اليابان قوتها البحرية والعسكرية عامة على هذا الأساس وأقامت الولايات المتحدة كل استراتيجيتها المضادة على قوة بحرية وجوية تستطيع أن تقضى على اليابان •

وقبل الحرب استطاعت المخابرات الأمريكية أن تحصل على الشفرة السرية اليابانية كاملة وأن تعرف منها كل شيء عن خطط اليابان ومشاريعها وموعد الحرب وضرباتها الأولى • وكانت المخابرات السوفييتية بدورها قد حصلت عن طريق أبرع جواسيسها وجواسيس الحرب العالمية الثانية — سورج — على معلومات مماثلة وبنفس القدر من الأهمية وتبادلتها مع الحلفاء •

ولكن فوجئت الولايات المتحدة بضربة قاصمة ضد البحرية وفى أهم قواعدها فى «بيرل هاربور» كانت أكبر كارثة من نوعها فى التاريخ الأمريكى شلت قدرة

الأسطول وأهم سلاح تعتمد عليه الولايات المتحـــدة فى الحـــرب • ومنحت اليابان المبـــادأة والتفـــوق الاستراتيجى المطلق للمرحلة الأولى من الحرب •

ولكن انتهت الحرب بعدئذ نهاية مختلفة وكسبتهـــا الولايات المتحدة ولم تنقطع الكوارث عن بريطانيا خلال الحرب • لم تكن بريطانيا مستعدة ومعبأة كما ينبغى • وتوالت الكوارث ، أفظع الكوارث فى التاريخ البريطانى وأشدها مهانة ومذلة • فرت القوات البريطانية فى دنكرك ، وأسرت الجيوش البريطانية فى طبرق وسقطت سنغافورة أكبر القواعد البحرية فى آسيا • ولم يجد تشرشل مايقدمه للشعب البريطانى سوى العرق والدم والدموع طـــوال أربع سنوات مريرة من الحرب ثم انقلب الميزان وخرجت بريطانيا منتصرة !

وقد بنت فرنسا «خط ماجينـــو» أقوى حـــزام استراتيجى حول حدودها الشمالية وانتهت الى أنه حزام الأمان حول فرنسا والذى لا يخترق واعتمد دفاعهـــا أساسا عليه •• ولكن خلال أيام معدودة من الحـــرب سقط خط ماجينو كله وتدفقت القوات الألمانية فى هجوم كاسح حتى باريس واحتلت نصف فرنســـا •• وكانت أعظم كوارث التـــاريخ الفرنسى واحتلت فرنســا ولـــم تسقط • خرج ديجول وقامت فرنســا الحـــرة وبـــدأت المقاومة واستمرت حتى انهزمت ألمانيا وتحررت فرنسا •

وتولى ديجول السلطة وبدأ تاريخ آخر .

وفى الجانب الآخر أيضا حدث نفس الشىء . وقد هزمت ألمانيا فى الحرب هزيمة صمم الحلفاء أن تكون نهاية تاريخها وأن تجرد من كل قدرة على أن تقوم ثانية دولة عظمى أو دولة محاربة وقسمت ألمانيا الى أربع مناطق احتلال بين الدول الحلفاء الأربع وتحولت برلين العاصمة الى مقر قيادة الاحتلال الرباعى . ولكن قامت بعدئذ دولة من ثلاث مناطق هى ألمانيا الغربية حققت بعد سنوات ما سمى المعجزة الالمانية أغنى وأقوى دولة فى أوروبا وتحققت على الضفة الاخرى معجزة المانية فريدة وقامت فى منطقة الاحتلال السوفييتى دولة المانية اشتراكية .. وفى وطن كارل ماركس قامت فى المقاطعات الالمانية الزراعية والمتخلفة دولة اشتراكية صناعية فى مقدمة الدول الصناعية الرئيسية فى العالم !

وما حدث لليابان لم يحدث لاي شعب ولن يتكرر .. القيت عليها القنبلة الذرية فى هيروشيما ثم القيت قنبلة أخرى فى نجازاكى .. وقتل فى كل غارة منها ربع مليون يابانى .. وأرادت الولايات المتحدة محو اليابان تماما من خريطة آسيا والعالم .. ان تعود بضعة جزر ثانوية الاهمية فى المحيط الباسفيكى .

ووجد اليابانيون الطريق للحياة ثانية من الاشلاء الذرية وولدت يابان جديدة ديموقراطية وتكنولوجية شقت

لها دورا ومكانا خاصا فى اقتصاد وصناعة العالم وأصبحت القوة العظمى الخامسة •• ومعجزة اقتصادية تكنولوجية فى حياة العصر وتبحث الآن عن دور سياسى ليس توسعيا واستعماريا وعسكريا فى حياة آسيا الثورية الجديدة وفى حياة العالم •

ولم يختلف الامر عندنا •• ولماذا يختلف •

لم تسقط مصر وينتهى تاريخها ودورها •• لم ينسحب الشعب المصرى ولم تنحسر مصر من على خريطة العالم • وقد صمد الشعب المصرى لكوارث لم تنقطع واستوعبها وتجاوزها خلال سبعة آلاف عام من التاريخ وقد تميز هذه المرة أنه خرج على الفور لمواجهة الكارثة •• وتخطاها يوم وقوعها •• وأبطلها فى أيام •• وكان حدثا فى تاريخ مصر وتاريخ العصر كله •

لم تنهار مصر ولم تعد خمسين سنة الى الوراء •• وخرجت مصر كلها ازاء الكارثة وأثبتتصلابتها واستمرار الثورة والحياة عارمة ولآخر مدى !

لم تستسلم مصر وتدخل قوات الاحتلال منتصرة ، وترفع علما أجنبيا على العاصمة وتعلن نهاية السيادة والكرامة الوطنية •• ولم ينته الحكم الوطنى الثورى • ولم يكسر أحد سيفه ويسلمه للغزاة معلنا يأسه وقيام سلطة أخرى تحكم مصر وتسود فيها •• ولم يقم العملاء وذيول الاجانب ليتولوا السلطة فى حماية الغزاة وليعلنوا

عودة مصر مستعمرة مباشرة أو غير مباشرة تماما كما كانت منذ خمسين سنة •

لم يقف الشعب جائعا تائها ويندب حظه ويبكى ضياع حريته وارادته ولكن خرج بكل فرد فيه •• مفاجئا العالم كله باستعراض قوة لم يحدث مثله •• وليثبت أن الهزيمة عسكرية وعارضة وليست انهيارا قوميا •

كانت ٥ يونيو احدى الهزائم الكبرى • ولكنها ظلت خسارة معركة ولم تصبح ولم يكن ممكنا ان تكون نهاية تاريخ ووجود •

ولم تكن ٥ يونيو صدفة ولم تحدث فجأة أو مباغتة •• كانت ذروة مواجهة مباشرة عنيفة ومريرة استمرت عشر سنوات بين الثورة « الناصرية » وبين الامبريالية الامريكية •

وقد امتدت المواجهة الى كل العالم العربى فى المشرق والمغرب وشبه الجزيرة واحتدمت بدرجات متفاوتة العنف على كل الجبهات •• ولم تهدأ يوما أو تتوقف وحفلت بالعثرات والانتصارات ولكن حسابها النهائى كان لصالح الثورة واضحا •

وقد بدأت المواجهة باعلان « نظرية » ايزنهاور سنة ١٩٥٧ ومحورها « ملء الفراغ » الذى خلفه سقوط النفوذ الفرنسى والبريطانى فى المنطقة ولابد أن تملأه الشيوعية الدولية • وبلغت المواجهة حدها الاقصى يوم اعلان

عبد الناصر فى مايو ســـنة ١٩٦٧ أن الولايات المتحدة هى زعيمة الثورة المضادة فى العالم وان القضاء على الثـــورية المصرية هدف أساسى من أهدافها ولن تسكت حتى يتحقق ولم يكن قد بقى للولايات المتحدة سوى الهجوم العسكرى المبـــاشر •• فقامت به اسرائيل يوم ٥ يونيو • وبدأت المواجهة فى المشرق العربى منذ ١٩٥٧ وأدت الى الوحدة مع سوريا والانتفاضة فى لبنان ثم الثورة فى العراق والى سقوط مشروع ايزنهاور وحلف بغداد معا •• ومهما كان ما حدث بعدئذ •• الا أنه لم تقم نظم أو دول معـــادية أو مضادة للثورة أو موالية للامبريالية فيها ، وفى المغرب العـــربى انتصرت الثورة فى الجزائر وقامت دولة عربيـــة وثورية جديدة •• وسقطت كل مشـــاريع الاستقلال فى اطار الغـــرب أو فى اطار المغرب الكبـــير •• المشروع الاستعمارى العتيد ولكن فى اطار الثورة القومية العربية •

وفى شـــبه الجزيرة •• وقع الحدث الكبـــير وقامت الجمهورية وتوطدت فى اليمن •• وامتدت جـــذوة الثورة الى امبراطورية البترول التى أحيطت بكل الحصـــانات والضمانات الواقية •

وفى القضية التى كانت بؤرة الصراع •• فشلت مشاريع الاستيعاب والامتصاص وأكد الشعب الفلسطينى ذاتيته وشـــخصيته وقامت منظمة التحـــرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطينى •

وفى مصر ذاتها .. أتمت بناء السد العالى وافتتح فى مظاهرة عربية كبرى وفى مظاهرة صداقة عربية سوفييتية رمزا لنهاية الحصار السياسى والاقتصادى والاستراتيجى الذى فرض عليها لحقب طويلة وأتمت مصر بنجاح خطة خمسية فى اطار التحول الاشتراكى وشرعت فى خطـــة جديدة لارساء قاعدة للصناعة الثقيلة لتكون أساس التحرر والتنمية العربية المستقلة والمتقدمة فى غير اطار الرأسمالية العالمية خلال عشر سنوات .. وقفت مصر حائطا سميكا دون أن يقوم العصر الامريكى .. نفت ان يكون هنـــاك فراغ يملأه الاجانب .. واستحقت لهذا غضب « الالهة » البيض .

وانتهت الولايات المتحدة الى آخر ما تستطيعه وقررت وقف مبيعات ومعـــونات القمح الامريكية لمصر لتجوع وتخضع وكان هـــذا القمح يفيض عن حاجـة الولايات المتحدة وتمن به على الدول النامية أو تساومها عـــلى استقلالها وسخرت مصر وهزأت بالتهديد واشترت القمح من مصدر آخر .

وأعطت الولايات المتحدة الاشارة الخضراء للحـــرب وبدأت الحرب التى بدأ الاستعداد لها بين اسرائيل وبينها منذ نهاية حـــرب ١٩٥٦ ونفذت الخطة التى قال قائد الطيران الاسرائيلى بعـدئذ أنهم ظلوا عشر ســنوات

يأكلونها ويشربونها ويحلمون بها ويفكرون فيها حتى قاموا بتنفيذها •

كانت الاستراتيجية الامريكية الاسرائيلية تقوم كما حددها ديان •• حل مشكلة الشرق الاوسط يبدأ بالقضاء على مصر والقضاء على مصر يبدأ بالقضاء على قوتها العسكرية والقضاء على القوة العسكرية المصرية يبدأ بالقضاء على سلاح الطيران •• وتمت الطريقة التى بدت رائعة باهرة وحسمت كل شيء والى الآبد •

وبعد الحربمباشرة قال جونسون رئيس الجمهورية فى أمريكا وقال ديان وزير الحرب الاسرائيلى — تماما كما قال الدكتور — ان مصر قد انتهت وانهارت وأنها عادت خمسين عاما الى الوراء •• أى عادت مستعمرة خالصة للغرب يفعل بها ما يشاء !

وأعلن ديان أنه منتظر الى جوار التليفون حتى تدق مصر لتطلب الاستسلام وسوف يمنحها الرفق والرحمة !

كانت النتائج المؤكدة والمحتومة والتى لاشك فيها بالنسبة لحرب ٥ يونيو : لابد وأن تكون نهاية عبد الناصر وهى تعنى نهاية كل شيء • كان الخصم الأول واللدود وقد هزم هزيمة حياته فى ستة أيام وانتهت القوة العسكرية التى كان يقيم حكمه وسلطته عليها •• وسوف ينتهى لاشك •• لم يبق له ما يعتمد عليه أو يبرر استمراره •

وترفض الامبريالية الامريكية القادة التاريخيين

والجماهيريين ولاتدخر جهدا لتصفيتهم والقضاء عليهم •
وتريد دائما سياسيين صـــغار تملى عليهم أو مغامرين عسكريين بلا عقول ينفذون الخطط والانقلابات •

وكان عبد الناصر خصما من نوع خاص امتدت شعبيته وتغلغلت عبر كل الحدود •• وفى أهم المناطق وكان القضاء عليه فى هزيمة كبرى هو أثمن الجوائز !

وكانت النتيجة الثانية •• هى انهيار مصر ونهايتها •• ان تعود دولة صغيرة لا تتجاوز حدودها وتســتغرق فى مشاكلها •• وبعد حروب محمد عـلى أصرت أوروبا ان تعود مصر «ولاية عثمانية» يحكمها ولاة تابعون للسلطان وأوربا •• وبعد الثورة العرابية جـاءت بريطانيا لتجعل مصر مستعمرة ومنطقة نفوذ بريطانية خالصة •

وكان الشرط الاول والاخير للولايات المتحدة منذ تفتح الثورة على العالم العربى والعالم الثالث أن تعـود الى داخل حدودها ، ولاتقود القومية العربية أو تتقـــدم الثورة الآسيوية الافريقية •

مصر هى مصدر الخطر وأساسه ولابد من احتوائهـا وحصارها داخل حدودها وان لا تتخطاها وتكون قيادة لثورة عربية أو ركيزة لثورة افروآسيوية •

واذا ماانهارت هيبـــة مصر ومكانتها واذا ماانطفأت شعلتها فان كل شىء يخمد وينتهى •

والنتيجة الثالثة هى تصفية المشكلة الفلسطينية • لابد

ان استعراض القوة الاسرائيلية الصاعق قد خلع قلوب العــرب جميعـــا •• وبعث اليأس التـــام فى نفوس الفلسطينين •• وأدرك الجميع ان السيادة لاسرائيـــل • وهى سيادة مطلقة ونهائية ولابد أن يتخلوا عن أوهامهم وان يقبلوا ما تعرض اسرائيل •

واذا ما ذهب عبد الناصر وانهارت مصر وانتهت مشكلة المشاكل •• كما لابد ان يحدث •• فان العصر الامريكى الاسرائيلى فى المنطقة سوف يبدأ •• ويدوم خمســـين أو مائة عام أو أكثر •• تماما كما قدر جونسون وديان •

ولم يستمر الوهم أياما ولدهشة كل الاطراف وذهولها كان ما حدث هو العكس تماما •

وحينما أعلن عبد الناصر مسئوليته الكاملة بما حـــدث وقراره ان يتنحى خرج الشعب كله •• وفى أكبر مظاهرة قومية حدثت فى تاريخ مصر واستبقاه •• ان عبد الناصر هو ابن الشعب وبطله أولا والقوة الشعبية هى التى تحميه وتستبقيه وهى بالوعى والفطرة تدرك حدود الهزيمة •• ومغزاها والمسئول عنها وهى ترفضها وسوف تتجاوزها وبقى عبد الناصر •• وببقائه تبدد الحلم الامريكى •

ولم تخرج الجماهير المصرية وحدها ولـــكن خرجت الجماهير العربية فىكل عاصمة ومدينة تطلب الى عبدالناصر البقاء تماما كما طلبت الجماهير المصرية •• انه يمثـــل

ارادة كل العرب وتجسدها ولابد ان يبقى رمزا لصـــمود الامة ولاستمرار الثورة .

وحينما ذهب عبد الناصر بعدالهزيمة بقليل الى الخرطوم خرج شعب السودان بأكمله ليستقبله وليغمروه بحرارة ذلك الاستقبال تأكيدا للثقـــة التى لم تهتز فى قدرته وفى قيادته .

ولم تنتنه مصر أو تنهـــار وعلى العكس تماما فى أقصر وقت ممكن أعادت مصر بنـــــاء كل ما انكسر من قواتها المسلحة .. وبعد أسابيع قليلة من الهزيمة اســـتؤنف فى رأس العش القتال الذى تصاعد الى حرب استنزاف .. ثم الى ٦ أكتوبر .

وخرجت الجماهير مرة أخرى تطلب التغيـــير الجذرى داخل الثورة .. وصدر بيان ٣٠ مارس وأعيد البنـــــاء السياسى .. واستمرت التنمية واقامت قاعدة الصـــناعة الثقيلة وهى قاعدة القوة الرئيسية وشرع فى اقـــــامة مجمعات الحديد والصلب ثم الالمنيوم وخمس قـــواعد للصناعات الثقيلة واستمر العمل لاتمام المرحلة الثانية من السد العالى .. وصدر قانون الاصلاح الزراعى الثالث تأكيدا لاستمرار التحول الاجتماعى نحو الاشتراكية وطرح قانون تأميم تجارة الجملة والمقاولات وأعيـــد تقييم كل التجربة .

وأعلن عبد الناصر ان ما اغتصب بالقوة لايرد الا بالقوة

وان القوة متكاملة عسكرية واقتصادية وسياسية ،وبالشعب والجيش معا •

ولـم تنته المشـكلة الفلسطينية وعلى العكس تماما فوجىء العالم كله بالفلسطينيين الذين كان لابد أن ينخلع قلوبهم وينتهون الى اليأس ، يتحولون الى ثوار مقاتلين يلحقون باسرائيل هزيمة فريدة فى نوعها فى معركة الكرامة وبعد أشهر من النكسة وان يتحول لاجئـو الخيـام الى فدائيين يحيطون بالدولة المنتصرة المزهوة ويزعزعون أمنها وغرورها • وبدأت مرحلة وتاريخ جديد للثورة الفلسطينية تجاوز كل ما تصوره الاطراف جميعا •

ولم ينحسر مد الثورة العربية ولا دور مصر الطليعى فيها •• وحينما انعقد مؤتمر القمة العربى فى الخـرطوم كان عبد الناصر هو الشخصية الحاسمة ولم ينازع أحـد فى ذلك وخرج المؤتمر بتأكيد اصرار العرب على المقـاومة ولم تنطفىء الجذوة أو تنضب الحيوية وتم الانقلاب فى السودان وقام نظام حكم يقف جنبا لجنب مع مصر •• وكان السودان هو « ظهر » مصر •• وكانت الامبريالية تريده دائما شوكة فى ذلك الظهر •

ثم وقع الحدث الآخر الذى غير كل الموازين وهو ثورة ليبيا •• وكانت ليبيا قاعدة استراتيجية أساسية منطقة حـزام وحائط عزل وحصار ضـد مصر •• بالنسـبة للاستراتيجية الامريكية وكانت حقل بترول خصب •• من

أهم الموارد بالنسبة للغرب •• وأحيطت ليبيا لهـذا بكل الضمانات من قاعدة هويلس أكبر القواعد خارج الولايات المتحـدة الى الاسطول السـادس الى كل قوات حلف الاطلنطى •

وكانت ثورة مؤيدة لمصر •• هو آخر مايمكن ان يحدث فى تصورهم •

واشتد القلق فى دوائر الغـرب من تلاحق وتعاظم الاحداث واستبد الخوف من أن تقوم دولة كبرى جديدة فى شمال شرق افريقيا من مصر والسـودان وليبيا تكون خطرا يهدد المصالح الاساسية للغرب !

ولهذا كله نسأل الدكتور « أين الانهيار الـذى عـاد بمصر خمسين عاما الى الوراء ؟ » •

وقد رأينا الافاضة بعض الشىء فى قصة ٥ يونيو لان تهمة تزييف التاريخ ليست عبثا • ونرجو ان يقتصـد الدكتور فى توجيهها بلا حساب •

غطـــاء الاسئلة !

وقد سئل الدكتور السؤال الطبيعى والذى يســـأله البســطاء لا العلماء •• لو كانت اشتراكية عبد الناصر ونظامه خرافة ، ولو كان ما حققه هو فاشـــية رأسمالية ولصالح البورجوازية •• فلماذا يصب الرأسماليون بهذه الحملة المجنونة عليه •• ولماذا يريدون محو كل أثر لعصره ولماذا يريدون تصـــفية كل الاجراءات الرأســمالية البورجوازية التى تمت لصالحهم • وعند الدكتور لـــكل سؤال جواب بل ورد غطاء • وهو يبدأ بتشخيص مايحدث الآن وأنه ليس هجمة لليمين على الاشتراكية ولكن « ان اليمين يستغل أوجاع الشعب المترتبة على التجربة السابقة من أجل كسب أرض جديدة •• وهذا هــو ما أردت أن أقوله لو فهموا مقالاتى جيدا » وهو يؤكد فى موضــــع آخـــر « ان اليمين يضرب على نغمــة أوجاع النـــاس وشكاواهم بحيث يستطيع ان يكسب ثقتهم وينحرف بهم فى اتجاهه الخاص » •

أى أن أوجاع الشعب المترتبة على تصــفية الاقطاع وتوزيع الارض وعلى تصــفية الرأسمالية والمترتبة على

تعميم التعليم ومجانيته كل هذه الاوجاع الشديدة الوطأة تجعل فى استطاعة اليمين أن يكسب ثقة الشـــعب وان ينحرف به الى اتجاهه الخاص أى يعود به مرة أخرى الى الرأسمالية والاقطاع •• لن يبحث الشعب عن اشتراكية أفضل ولكن سوف يعود الى أغلاله القديمة !

والفلاحون الذين يستميتون فى الدفاع عن الارض التى وزعت عليهم ، والعمال الذين يستبسلون فى الدفـاع عن القطاع العام •• والمثقفون الذين هبوا للدفاع عن حـق التعليم وضـــد الجامعات الاهلية الطبقية •• كل هؤلاء خياليون لا يوجدون لان الدكتور لا يعترف بهم !

ويعود الدكتور فى نفس البحث ليقدم اضـــافة مبتكرة •• ومتناقضة كالعادة •• « ولكنى لم أقـــل ان اليمين انتفع من التجربة الناصرية بل اننى أعرف أنـــه أصيب بأضرار بالغة تفسر هجومه الحالى ولكن المشكلة هى ان الضربة التى وجهت الى اليمين لم تكن لحســـاب الاشتراكية الحقيقية بل لحساب النظام نفسه •• وهـذا هو العنصر المميز والفريد فى التجربة الناصرية » •

ولا يفهم أحد ــ علميا ــ هذا الرأى الساذج •• ماذا يعنى النظام نفسه ؟

ان أى نظام لابد أن يمثل مبـادىء ومصالح طبقات وفئات وقـوى اجتماعية معينة •• وهـو اما أن يمثـل الطبقات الكبيرة والمالكة واما ان يمثل الطبقات الصغيرة

والمعدمة ولايمكن أن يقوم نظام لايمثل أحدا •• ولايمثل سوى نفسه •• لايقوم نظام فى الفراغ والهواء ولايعتمد على أحد ومنعزلا عن الاغنياء والفقراء •

ويعرف العلماء والباحثون ودارسو المذاهب والنظم أنواعا كثيرة منها •• هناك نظم اقطاعية يحكم ويملك فيها الاقطاعيون ونظم رأسمالية تقوم لصالح الرأسماليين ونظم فاشية لصالح كبار الاحتكاريين •• وهناك نظم اشتراكية أو شيوعية لصالح الفقراء والمضطهدين ويقوم بالحكم فيها ويملك ويحكم العمال والفلاحون •

ولكن نظما تقوم لنفسها وبنفسها ولا ترتبط بأى القوى أو الطبقات العليا أو الدنيا •• فهذه ظاهرة جديدة فريدة حقا •• أول من اكتشفها وقال بها هو الدكتور •• وكان لابد أن يهتم باكتشافه الجديد كثيرا وان يقف عنده طويلا وينفع بذلك الناس ويفحم المعترضين •

ان النظام الذى ظل فى السلطة ثمانية عشر عاما ، والذى أقام الدنيا وأقعدها وأثار كل ذلك الجدل وكل ذلك التأييد والمقاومة لم يمثل أحدا سوى نفسه •• وكل التغييرات التى أحدثها فى حياة مصر وفى حياة كل المنطقة وهى أعمق ما حدث فى كل تاريخها •• لم تكن باسم أحد أو لمصلحة أحد سوى النظام نفسه •

لقد طرد الانجليز لحسابه وقاوم الامريكيين لحسابه • والتحم بالعرب وانضم للاسيويين والافريقيين وتصادق

مع الثوريين والاشتراكيين كل هذا لحسابه •

وقد وزع النظام أرض الاقطاعيين على نفسه •• وأمم مصانع وبنوك الرأسماليين لنفسه وأنشأ المصانع الجديدة الثقيلة والخفيفة لرجاله •• وليس لاى أحد آخر •

وفتح النظام المدارس والمعاهد والجامعات لا للجميع ولكن لنفسه ، وقصر دخولها على رجاله وأبنائهم وبناتهم فقط •• وقاد النظام كل الحروب العاتية والمعارك الصاخبة لا باسم مصر أو العرب أو فى سبيل الحرية أو الاشتراكية ولكن لحسابه وحفاظا على نفسه !

ولا يقول الدكتور ماهى هذه « النفس » التى يمثلها النظام ويلومنا أشد اللوم لاننا لا نفهم •

والعالم المفكر •• المتميز •• مثل الدكتور •• اذا ماعثر على نظام لم يسبق مثل هذا فلابد وان يقتله بحثا وشرحا ويضيف به الى العلم والفكر السياسى اضافة مبتكرة •• ولعله يسمح لنا أن نفعل •

اذا كان الدكتور يعنى بهذا ان النظام هو عبد الناصر وأنه قام لصالحه وحده فلابد ان عبد الناصر قد امتلك كل الارض وأنشأ لنفسه كل المصانع والبنوك وافتتح لنفسه كل المدارس ، وكان لابد أن ينتهى النظام بعده مباشرة • ان تعود الارض الى مالكيها وان تغلق المصانع والمدارس أو تؤول الى ورثته الشخصيين •

واذا كان الدكتور يعنى ان النظام قد أقام طبقة جديدة

احتكـــرت الســـلطة والثروة لنفســـــها ، فأن الطبقـــة الجـــديدة بالمعـــنى الـــذى يقصـــده الدكتور لابد ان تكون فى جوهرها بورجوازية رأســمالية وفى اطار الصراع الطبقى الذى يحتدم فى مصر والـــذى يزداد حدة وفى اطار المشـكلة الاجتماعية التى تهـــدد الكيان الطبقى •• لابد وان تنضم كل القوى البورجوازية والرأسمالية لهذه الطبقة الجديدة •• الفتية القوية التى تتقدم لها أثمن ما تحتاجه وهو الحماية من الثورة • وبذلك يصبح النظام ممثلا لحلف هذه القوى والطبقات •• ولابد أن تباركه وتؤيده الرأسمالية والامبريالية العـالمية التى لا تطمح الى نظام أفضل فى مصر •

واذا كان الدكتور يعنى ان ماوجه الى اليمين من ضربات لم تكن لحساب الاشتراكية الحقيقية فهو يعنى ان الارض التى أخذت من الاقطاعيين لم توزع على الفلاحين •• ولم يستفد منها فلاح ولكن ذهبت الى النظام وان المصانع التى أنشئت والتى أممت لم تكن للعمال والفنيين والمـديرين وكل العاملين بها •• ولكن سلبها النظـام لنفسه •• وان الثروات •• لم توجه الى التنمية الشاملة ولتحقيق الكفاية والعدالة ولكن الى جيوب النظام نفسه •• وحينئذ يـكون على الدكتور أن يشرح لنا ما هى الاشتراكية الحقيقية •• ويبقى عليه أيضا أن يستقصى بحرصه على الحقيقة أين ذهبت الارض وما مصير المصانع •• وما الـــذى حدث

للمدارس •• وان يثبت لنــا بالوقائع والارقام •• كيف صادر هذا الشـــــخص الاعتبارى « الوهمى » المسمى بالنظام كل حقوق وثروات البلاد !

وقد شخص النظام بأنه اصلاحى ولم يقم سوى ببعض اصلاحات قد تكون كبيرة أو صغيرة ولكنها تظل فى اطــار النظام « الرأسمالى » ولا تغير من جوهر الاشياء وليس اشتراكية بأى حال •

ولا يفسر أصحاب هـــذا الرأى كيف يتحقق اصلاح الرأسماليةبتجريد الرأسماليين من « رأس المال » وبتأميم أهم مراكز ومقومات الثروة لحساب الشعب •• وبالغــاء الاسس التى يقوم عليها النظام الرأســـمالى •• الملكية الفردية الكبيرة والسوق الحر •• ألخ •

ولا يفسر أصحاب هذا الرأى كيف تخلى الرأسماليون عن الثورة •• حتى قبل اعـــلان القوانين الاشتراكية •• وبسبب تدخل الدولة على نطاق كبير فى الاقتصاد وليس تأميمه وكانوا يريدون اقتصادا حرا حرية تامة •

ولم يفسروا أيضا سر الحملة التى بدأت منــذ ١٩٦١ والتى تبلغ ذروتها الان •• كيف تشن الرأسمالية هــذه الحملة المحمومة على نظام لم يكن يريد ســوى اصلاح النظام الرأسمالى لكى يبقى ويعيش ! وشخص البعض الآخر النظام بأنه « رأسمالية الدولة » قد تكون لها بعض الايجابيات فى التنمية وفى تلك المرحلة ولكنها ليســـــت

الاشتراكية .

وفى رأسمالية الدولة تقـوم الدولة بمهام الرأسماليين ونيابة عنهم .. وهى تتحمل المغامرة والمخاطرة وتبعـات الانشاء لتقيم القاعدة التى يبنى عليها الاقتصاد والمشاريع الكبرى التى يعتمد عليها ثم تبيعها أو تسلمها ناضـجة جاهزة للرأسـماليين وتوفر كـل المقومات لتقـوم طبقة رأسمالية جديدة وقادرة تملك الاقتصاد وتديره .. حرة !

ولا يفسر أصحاب هذا الرأى أيضا لماذا تؤمم المشاريع الرأسـمالية القائمـة فى ظـل رأسـمالية دولة ولمـاذا بقيت كل المشـاريع الكبرى التى قامت ونجحت فى ملكية الدولة ولا تنتقل الى الرأسماليين وكيف تكـون الولاية للقطاع العام ويحدد اطار محدود للقطاع الخاص فى ظل رأسمالية دولة .. وكيف يناصب الرأسماليون أشد العداء لنظام كان يريد أن يؤمن رؤوس أموالهم ويغنيهم عن احتمالات الفشل والخسارة وان يهيىء لهم مقومات الازدهار .

والرأسمالية نظام له أسسه ومقوماته المعروفة وقـد تختلف تطبيقات الرأسمالية فى أوروبا عنهـا فى أمريكا الشمالية أو فى استراليا ولكنها تظل رأسمالية تتفـق فى الجوهر وتختلف فى الشكل .

وللاشتراكية أيضا نفس الخصـائص وقد يختلف فى التفسير أو التطبيق ولكن طالما اتفقت فى الاسس العامة

فهى اشتراكية وليست رأسمالية .

واذا ما أممت دولة ٨٥٪ من الاقتصاد الرأسمالى من المال والصناعة والتجارة وحولت ملكيتها الى ملكية عامة للشعب .. واذا حددت دولة الملكية بخمسين فدان للفرد ومائة للاسرة واذا اختارت التخطيط وليس اقتصاديات السوق أساسا للتنمية فمن الصعب أن لا تكون اشتراكية وقد قال البعض ان النظام هو « نظام لارأسمالى» ليس رأسماليا ولكنه أيضا ليس اشتراكيا وهو قد يصل الى الاشتراكية وقد لا يصل اليها وفق اضطراد مسيرته ووفق موازين وصراع القوى داخله .

وهذا تعريف جديد وماركسى للنظم التى اختارت الاشتراكية فى العالم الثالث اختيارا حقيقيا ولكن على أساس غير الماركسية اللينينية وبقيادة حلف القوى الوطنية والتقدمية وليس الحزب الشيوعى .. ومع أن التعريف قد استمد من التجربة المصرية واستلهمها وكان تحولا فى الموقف الماركسى وتغيرا ايجابيا الا أن مصر تظلم كثيرا اذا ما اعتبرت احدى دول العالم الثالث كأى دولة أخرى والتجربة المصرية تظلم اذا ما اعتبرت « لا رأسمالية » فقط .. وقد كان الاختيار حاسما للاشتراكية « العلمية » وكان مستمدا من التجربة والتفكير ومن الواقع المصرى ومن تجارب وروح العصر معا وكانت التحولات التى تمت أعمق التحولات فى ملكية وسائل الانتاج وفى علاقات الانتاج

فى أى بلد خارج المعسكر الاشتراكى •• وكانت مجـرد البداية •• وليست مجرد لا رأســمالية ولكن تحـولا جوهريا الى الاشتراكية •

وقد انتقدت التجربة « الناصرية » وكانت مثار أشـد الجدل وانتقد القصور الفكرى والنظرى للتجربة أو أخطاء وســوءات التطبيق ولكن كان ذلك فى اطــار الاعتراف باشتراكيتها وكان هذا التشخيص أو النقد على اختلافه يصلح ان يكون محل نقاش •• بمعايير ومقاييس العلـم والعقل •• ولكن تعريف النظام بالتجربة الناصرية وبأنها كانت نظاما فريدا متميزا ليس رأسمالية وليس اشتراكية وليس سوى النظام نفسه •• فهو يتجاوز امكانية الفهم والجدل !

وقد انتقل الدكتور من القول بأن النظام لم يصـب بأوجاعه سوى الشعب وان اليمين يستغل هذه الاوجـاع ليكسب بهـا ثقة الشعب بالفعـل الى القـول بأن اليمين كان يحرق البخور للتجربة المصرية الاشتراكية ثم الى القول بأن اليمين قد أصيببأضرار بالغة منالتجربة ولكن كانت لحساب النظام نفسه • ولانعرف أين الحقيقة حتى يوضح الدكتور !

الامبرياليـــة

وقد سئل الدكتور السؤال الآخر والمكمل .. اذا كان عبد الناصر قد أقام ذلك النظام الذى لم يكن وطنيـــا ولا اشتراكيا حقيقيا فلماذا حاربته الامبريالية بهذا العنف ولا شيء يسعـــد الامبريالية مثل قيـــام هذه النظم المتداعية فى العالم الثالث ويدور جهد ونشـــاط أقلام المخابرات الامبريالية حول تدبير الانقلابات التى تؤدى الى هذه النظم التى تكون أداة طيعة فى يدها ... واذا كان النظام فى مصر قد جاءها بلا عناء أو تدبير .. فلمـــاذا لم تتبناه فيتحمس لها .. بدلا من اعـــلان حرب ضـــارية عليه .

ولا يعدم الدكتور اجـــابة أبدا وهو يقول « وامـــا الامبريالية العالمية فان هجومها على التجربة الناصرية يرجع فى رأيى الى اعتبارات التوازن الدقيق بينها وبين المعسكر الاشتراكى العالمى ، فقد توسع الوجود السوفيتى فى أواخر العهد الناصرى الى الحد الذى قررت معه الامبريالية ضرورة توجيه ضربة اليه وكان هذا الوجود بالنسبة الى التجربة الناصرية اجراء تكتيكيا أما بالنسبة للاتحاد الســـوفيتى

والولايات المتحدة فكان اجراء استراتيجيا أى أن ما كانت التجربة الناصرية تراه سياسة مرحلية تخدم اغراضا مؤقتة كان فى نظر العملاقين الدوليين سياسة بعيدة المدى تؤثر على التوازن الدقيق الذى يحرص عليـــــه كل طرف ازاء الآخر •• » •

وهكذا لم تحارب الامبريالية عبد الناصر لانه هـــــزم الاستعمار القديم ولانه وقف حائلا دون الاستعمار الجديد ولم تحاربه الامبريالية لانه رفض الاحلاف ونظريات ملء الفراغ •• ولم تحارب الامبريالية عبد الناصر لانه أراد تحرير العرب وأراد توحيد العرب لكى تقوم قوة عربية كبرى مستقلة وعصرية •• لا •• لم تحارب الامبريالية عبد الناصر لشىء من هذا •• ولكن حاربته لأن الوجود السوفييتى توسع فى مصر فى نهاية عهده وكان توســــعا أخل بالميزان الدقيق بين الدولتين الاعظم •• وهو الميزان الذى كان يجب أن يحرص أشد الحرص فى المحافظـــــة عليه •

ولقد كان خطأ أن تقيم مصر هذا القدر من العلاقات مع الاتحاد السوفيتى وان تحصل على ذلك القدر من الاسلحة وذلك القدر من المصانع لأن مصر بهذا أثارت الامبريالية العالمية وهددت أركان التوازن الدولى •• وهو توازن يرى الدكتور أنه مشروع ومن حق الامبريالية وواجبهـــا أن تدافع عنه •• ضد مصر •

ولقد كان تسليح مصر وتصنيع مصر لترد العـدوان وتتحرر من التخلف اجراءات تكتيكية •• أما التوازن بين روسيا وأمريكا فهو قضية جوهرية واجراء استراتيجى •• ولابد أن تحرص عليه مصر أكثر مما تحرص عليه روسـيا التى بادلتنا العلاقات •

ويصل الدكتور الى حد القول « كانت المسـاعدات الامريكية لاسرائيل قبل حرب يونيو واثناءها وبعـدها موجهة فى المقام الأول ضد النفوذ السوفيتى لا ضـد التجربة الناصرية من حيث هى نظام داخلى » •

وبهذا يعترف الدكتور ويقر بأن العالم العربى ومصر هما منطقة نفوذ دولية ولابد من هذا ولا غضاضة فيـه ولكن يجب أن يكون النفوذ الاجنبى موزعا بميزان دقيق بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى حتى لا يطغى وجود أحدهما على الاخر ومن الافضل أن يكون النفوذ السوفيتى فى أضيق الحدود حتى تطمئن الامبرياليـة ولا تستنفز •

ويعترف الدكتور بأن للامبريالية الحـق والشرعية فى حماية مصالحها المشروعة وان تصحح ميزان القوى الدولى اذا اختل •

ويعترف الدكتور أيضا بأن للولايات المتحدة الحق فى مساعدة اسرائيل قبل حرب يونيو واثناءها وبعدها لان

مصر هى التى دفعت الولايات المتحدة لهذه المساعدة بسبب توسع الوجود السوفييتى الذى سمحت به مصر •

وينتهى هذا المنطق « الفريد » بانه ليس لمصر الحق فى سياسة خارجية حرة وليس لها حق الاختيار بين من تصادق ومن تعادى بل ان واجبها الاول والاخير هو أن تحـــرس الميزان بين الدولتين الاعظم •

والدكتور وطنى ويسارى •• وهو كما يقول يسارى غير محترف أى مستقل الفكر والرأى لا يتقيـــــد الا بتفكيره وضميره •

والوطنى اليمينى واليسارى على الســــواء يرى أن الامبريالية « العالميــــــة » الجـــديدة تريد أن ترث الامبراطوريات القديمة وسياستها الاستعمارية ثابتـــة تتجدد ولا تتغير وهى تريد أن تسيطر على العالم خاصـــة العالم العربى لاعتبارات استراتيجية واقتصادية• ومقاومة الامبريالية واجب وطنى يتقدم كل الاعتبارات وكل تاريخنا ومبرر حياتنا ووجودنا هو تحقيق الحرية والسيادة بمقاومة الاستعمار •• ولا يمكن أن يقوم أو يصح توازن أو توافق دولى على حساب الحقوق الاساسية لشعب ما ولشـــعب مصر خاصة •

والشعب الذى يخضع استقلاله وســـيادته للموازنات والمساومات الدولية ليس أهلا للحرية ولا يمكن أن تلتزم مصر بأى ميزان أو اتفاق يعقد بين دول أعظم أو أصـــغر

لا تكون طرفا فيه أو توافق عليه .

وهذه بديهيات ..

والوطنى اليسارى مثل الدكتور يرى أن الاتحـــاد السوفيتى ليس فقط دولة أعظم مثل الدولة الاخرى ولكنه دولة اشتراكية تتصدر معسكر اشتراكى .. لا ينكر عليه الدكتور صيغة الاشتراكية .. ولهذا فهو ليس استعماريا وليس رأسماليا .. ومن حق مصر التى تقاوم الاستعمار والتى ترفض الرأسمالية أن تتصادق وتتحالف مع هــذا المعسكر والى أى مدى تقرره .

ولا يمكن أن تسمى هذه العلاقات وجودا لان الوجود يفرض فرضا ولاهداف الدولة التى فرضـــته وبحيث لا تستطيع الدولة الاخرى ان تدفعه وتتحرر منه .

ولم تكن العلاقة المصرية الروسية وجودا .. مفروضا .

وقد بدأت العلاقات مع الاتحاد السوفيتى بعـــد غارة اسرائيل على غزه فى فبراير سنة ١٩٥٥ وهى غارة قال بن جريون انها « لاسقاط هيبة النظام الجديد فى مصر » وكان لابد لمصر أن تحصل على السلاح الذى تحافظ به على هيبة النظام . ودفعت الوطنية المصرية الى الطريق الوحيد للسلاح .. بعد رفض الغرب أن يبيعه وتوثقت العلاقات مع الاتحاد السوفيتى بعد بناء السد العــالى وقد رفض الغرب بناءه وشن حربا كاملة على مصر بسببه .

وكان السد العالى أساس التنمية والتصنيع وأن تتحرر مصر أو لا تتحرر ٠

ولم يكن الاتحاد السوفيتى الذى يقدم السلاح الى شعب يستميت فى الدفاع عن حريته ليتصور انه يستطيع أن يفرض وجودا علينا ٠

ولم يكن الاتحاد السوفيتى الذى يبيع لمصر كل مقومات التنمية والتصنيع ليحقق استقلالها الاقتصادى ليتصور أنه يستطيع استغلال مصر ٠

ولقد كانت العلاقات وثيقة والمساعدات ضخمة بقدر وطأة الخطر الاستعمارى وعمق التخلف ٠٠ ولكن ظلت العلاقات دائما متكافئة تكافؤا تاما ولم تقم العلاقات بين بين مصر والاتحاد السوفيتى على أسس « تكتيكية » أو انتهازية وكان لها أساسها العملى « الجيوبوليتيكى » وأساسها النظرى « الايديولوجى » ٠

كان الشرق الاوسط هو الحدود المباشرة للاتحاد السوفيتى وقد بدأت منه الحرب الباردة لحصاره وتصفيته وكان الامن القومى للدولة السوفيتية يتطلب أن لا يسود الغرب فى الشرق الاوسط وأن يكسر الاتحاد السوفيتى الحصار الذى فرض حوله ٠٠ ولم يكن للاتحاد السوفيتى فى الشرق الاوسط من يمكن أن يصادقهم ويحالفهم سوى قوى التحرر والثورة العربية بزعامة وقيادة مصر ٠

كانت تركيا والبورجوازية التركية قد اختارت الغرب بل وذابت واندمجت فيه وكانت ايران والاقطاعية الايرانية قد بيعت بعدها وقررت باكستان أن تكون « الحليف رقم ١ » والذى تبدأ وتنتهى اليها أحلاف الغرب ، وكانت القوى التقليدية العربية معهم جميعا فى حلف بغداد ولهذا فان قوى الثورة العربية والتى تريد تحرير المنطقة من الغرب هى أفضـــل حلف يعتمـــد عليـــه فى تحقيـــق أمن الدولة السوفيتية وبطنها « الناعم » فى الشرق الاوسط بل هى الحليف الوحيد .

وكان الاساس « الايديولوجى » يقيس الاهميـــة .. والالتزام .

والاتحاد السوفيتى دولة ماركسية لينينية وترى الثورة فى العالم ذات ثلاثة أجنحة .. الثورة العمالية فى الغرب ضد الرأسمالية والثورة الوطنية فى الشرق ضد الاستعمار والاشتراكية القائمة فعلا فى المعسكر الاشتراكى وعلى هذه القوى الثلاث أن تتحالف وتتساند ضد العـــدو المشترك وهو الرأسمالية والاستعمار .

وقد تختلف الثورات فى تفكيرها أو تفسيرها أو مسارها ولكن يجمعها الهدف المشترك ضد الاستعمار والاستغلال ولابد أن تتساند والى أقصى مدى . والوقوف مع الثورة العربية والثورة المصرية مركز الطليعة هو التزام عقائدى على الحلف والمعسكر الاشتراكى . وكلمـــا تعاظم كفاح

مصر والعرب ضد الاستعمار والاستغلال كلما تعمق الالتزام .

وتعتمد الدول المكافحة أساسا على قواها الذاتية ولكن أيضا على مواقف وتأييد القوى الدولية ولابد أن ترى قضاياه فى اطار العالم والعصر وان تميز وتفرق تماما بين مختلف القوى وعليها أن تدرك متناقضات ومتغيرات العصر وتستخدمها جميعا فى صالحها ولا تكون اسيرتها أو ضحيتها .

وقد استخدمت مصر الحديثة لدى قيامها فى عصر محمد على التناقض والصراع الفرنسى البريطانى ، وكان الصراع الاول فى ذلك العصر بل وحاولت مصر يومئذ اقامة علاقات مع روسيا القيصرية ضد الدولة العثمانية المستعمرة وجاءت أول بعثة « روسية » الى مصر فى ذلك العصر !

واعتمدت الحركة الوطنية المصرية أيضا على التناقض البريطانى الفرنسى الذى ظل قائما حتى عقدت الدولتان الاتفاق الودى فى بداية هذا القرن .

ومنذ نهاية الحرب العالمية الاولى وقيام الثورة فى روسيا كان لابد وأن تفيد كل الدول المكافحة من هذا التناقض الجوهرى والتغير فى موازين القوى الكبرى وقيام دولة عظمى معادية للاستعمار والاستغلال وهذا ما حدث بالفعل .. لثورات الصين وتركيا وايران .

وبعد أن أصبحت دولة أعظم وتتصدر معسكر احدى القوى الاساسية فى العالم لم يكن ممكنا أن لا تفيد الدول التى تحارب معاركها الحاسمة من أجل الحرية أقصى الفائدة منها •

وقد استخدمت الثورة المصرية التناقض فى صفوف الدول الامبريالية بين الاستعمار القديم والاستعمار الجديد الامريكى كما استخدمت التناقض الاخر الاساسى بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة وبين المعسكر الاشتراكى والمعسكر الاستعمارى عامة وبادراك دقيق واع لاختلاف نوع التناقض •• ولم تكن هناك سياسة خارجية أفضل أو بديلة سوى الوقوع فى التبعية •• على أى الناحيتين !

ولهذا فقد كان هناك الاساس العملى « الجيوبولتيكى » والمحتوم للعلاقة بين مصر والاتحاد السوفييتى •

وكان هناك الاساس النظرى والايديولوجى للعلاقة•• وقد يكون لكل منهما مبادئه ونظمه المختلفة ، ولكن هناك اتفاقا مشتركا على أهم الاهداف وهى رفض الاستعمار والاستغلال وتحقيق الحرية والاشتراكية •• وبالنسبة لمصر يتحقق هذا عن طريق مصرى عربى علمى وبالنسبة للاتحاد السوفييتى عن طريق الماركسية اللينينية •• هناك اختلاف ولكن ليس هناك تناقض أو عداء •

ولم تكن العلاقة المصرية السوفييتية وجودا وتوسعا ، وتسللا سوفييتيا الى مصر •

ما يقوله الدكتور وهو نفس ما يقوله اليمين المتطرف والمتخلف فى مصر •• وقد كان أول من خرج بهذه الاراء أحد فقهائهم « وحيد رأفت » فى منبر من منابرهم « مجلة السياسة الدولية » •

ووفقا لفهم الدكتور يصبح واجبا علينا أن نشكر دائما ونعترف بجميل الولايات المتحدة فى حرب سنة ١٩٦٧ ، لأنها أرادت أن تخلصنا من بلاء مزدوج هو الوجود السوفييتى والنظام الناصرى ، ونشكر اسرائيل خاصة أنها قامت بالعمل !

وهذه رؤية « يسارية » فريدة للتاريخ والاحداث !

اشتراكية الدكتور

ويعود الدكتور ليقدم كل هذا التناقض باسم الاشتراكية ودفاعا عنها وهذه اشتراكية خاصة غريبة لم يعرفها •

ان اشتراكيته هى النقيض لكل ماحــــدث فى مصر •• وبالنسبة له كان للمساعدات الامريكية المشروعة التى قدمت لاسرائيل لتوجه الى التوسع السوفيتى فى مصر وليس الى التجربة الناصرية كان لها فضل آخر •• فقد « أدت الى هزيمة ٥ يونيو التىأدت الىكشف البناء الهش للاشتراكية المطبقة محليا » •

وهذه الاشتراكية الهشة « استكملت معظم المقــومات الشكلية لاى تجربة اشتراكية مثل تصفية الاقطاع ورأس المال المستغل والتمصير والتأميم واقامة قطاع عام قوى واسع النطاق • كل ماتتطلبه الاشتراكية كان موجودا » •

ولكنها مع ذلك ظلت هشــة لان كل شىء كان موجودا « فيما عدا شيئا واحدا هو لب الاشتراكية وقلبهـــا وجوهرها هذا الجوهر هو الذى افتقده الشعب المصرى وهو الذى لم تفتقده شعوب أخرى » •

ويخرج الدكتور بتعريف لهذا اللب والقلب والجوهربأنه

« النهوض بالانسان واتاحة الفرصة أمامه لكى يمـارس قدراته وملكاته الابداعية دون قهر أو ظلم » •

وهذا قد يصلح شعارا فى مظاهرة وقد يكون دعـوة صالحة لنصرة الحق ولكنه ليس التعـريف النمـودجى للاشتراكية المثلى •• والذى تقاس به أصـالة وصلابة الاشتراكية •

والاشتراكية الهشة لاتحرص علىاستكمال كلالتشكليات وهى « لا تصيب اليمين بأضرار بالغة » •• والاشتراكية الهشة تسقط عادة بعد وفاة مؤسسها ولا تجد من يدافع عنها •• وهى لا تسحق روح الانسان ، ولاتحتاج الى كل هذا العناء ليهاجمها الدكتور وكان يكفى أن يسجل وقائع تآكلها وذبولها •

والاشتراكية هى حلم الانسان وطريق خلاصه ولكنها أيضا ليست جنة غناء ويصل اليها الناس فجأة وبعـد طول العناء أو تفتح أبوابها لتسعهم جميعا وتحقق لكل فرد أحلامه ويجد فيها النعيم •• والاشـتراكية حرب مستمرة ومستميتة بين فلسفتين وعالمين ونظامين ولا يغير من شىء أن تقوم الاشتراكية سلميا أو أن تقوم بحـرب طبقية وهى تستمر قبل الاشتراكية وبعدها ولزمن طويل ، لعصر كامل من التاريخ !

وفى الاتحاد السوفياتى أول بلد قامت فيه الاشتراكية لا ينقطع الكفاح نظريا وتطبيقيا ضد بقايا الرأسـمالية

ورواسبها وذلك بعد ستين عاما من قيام النظام ٠
وفى الصين قاموا بثورة أخرى هى « الثورة الثقافية العظمى » بعد سبعة عشر عاما من الثورة وبعد أربعين عاما من حرب التحرير وذلك لحماية النظام من « عودة الرأسمالية »
وفى يوغوسلافيا أو كوبا ٠٠ أو بولنده ٠٠ أو فى بلاد العالم الثالث التى اختارت الاشتراكية يظل التحدى قائما وحادا لزمن طويل جدا ٠

ويصل الصراع الى أقصاه فى المواقع الحاسمة حضاريا وسياسيا على خريطة العالم وحيث يؤثر الاختيار خارج حدود الدولة وعلى حياة العصر وموازينه عامة ٠٠ وفى المقدمة مصر ٠

وليس هناك ما يدحض مزاعم الدكتور وينفيها عن الاشتراكية الهشة سوى صمود الاشتراكية والاشتراكيين فى مصر ٠٠ وتعثر كل المحاولات لتصفيتها ولاقتلاعها ٠٠
وهذه المرارة فى نفوس اليمين لا تقوم بسبب اشتراكية هشة ٠٠ ولا تقوم الاشتراكية أو تأتى من الفراغ ولكن « تولد الاشتراكية فى رحم المجتمع القديم » وتحمل دائما كل بصماته ٠
والاشتراكية فى روسيا تحمل كل فضائل ونقائص الشعوب فى روسيا والاشتراكية فى الصين تحمل كل قوة وضعف

الشعب الصينى والاشتراكية فى كوبا أو كمبوديا لا تختلف
ولم تكن الاشتراكية فى مصر لتخرج بكل حسنات الشعب
المصرى ومجردة عن كل ثغراته .. لابد أن تحملها أيضا .

ويختلف طريق كل بلد الى الاشتراكية .. وليس هناك
خط سير محدد معروف يمكن أن تقطعه الشعوب .. ولهذا
لابد أن تحمل التجربة آثار كل عثرات وانحناءات الطريق .

وقد قال لينين ذات يوم « ان الذين يحلمون بالاشتراكية
طاهرة نقية سوف يموتون قبل أن يروها » .

والذين يريدون اشتراكية نموذجية طاهرة نقية فى مصر
وحدها ينقصهم العلم بالواقع أو بالاشتراكية ولا حق لهم
فى الكلام عنها .

لا تنـــاقض

ان الدكتور مع هذا كله يرفض تماما أن يؤخذ عليـه تناقضه وهو فى النهاية يلقى برهانه •• ومن بين أربعين مقالا كتبها فى الفكر والاشتراكية اختار مقـــالا واحدا « ليتضمن تكذيبا قاطعا لما يدعوه عنى من تناقض » •• وبخيلاء بالغة قال « هكذا كنت أكتب أثناء حياة جمـــال عبد الناصر فكيف كان نقادى يكتبون ؟ •• وهل يعاب على أن أكتب فى العدد المخصص لرثاء جمال عبد الناصر مقالا أخف لهجة من ذلك الذى كان مفروضا أن يظهر وهو حى ؟»

ومقال المفكر الكبير ذى الاربعين مقالا والذى يفحم كل نقاده هو « عن بعض سلبيات اشتراكية العالم الثالث ولم يكن القارىء عندئذ يجد أى صعوبة فى فهم نوع الاشتراكية التى أعنيها » •

وقد كانت أخطر سلبيات هذه الاشتراكية عند الدكتور هى « سكوتها عن التفكير الغيبى أو تعايشها معه •• وهذا انتهازية ونفاق رخيص من جانب السلطة الحاكمة فضـــلا عن أنه يساعد على ابقاء الجماهير فى حالة تخلف معنوى لا يرجى منه أى نهوض للمجتمع بل ان مثل هذه الاشتراكية

لابد أن تكون جوفاء مبتورة »

وأضاف أيضا وبنفس الجرأة « ولقد كان من الممكن أن تخف اضرار التفكير الغيبى لو كانت تلك الاشتراكية تقدم للناس مكاسب واضحة اما اذا كانت الاشتراكية مترددة. خائرة واذا كانت مكاسبها أمرا مشكوكا فيه على الدوام فعندئذ تستطيع الخرافة أن تطل برأسها فى شماتة » .

وتحدث الدكتور عن عيب آخـــر لهذا النـــوع من الاشتراكية ينبع من التفكير الغيبى ومن سيادة الخرافة هو « انها مفروضة من أعلى وليست نابعة من ثورة شعبية بالمعنى الصحيح ولهذا نجد فى هذه الاشتراكية أن الانحراف فى الطبقات الحاكمة أمر مألوف حيث يبدو اغرار السلطة والافتقار الى التقاليد الثورية الاصيلة عاملا مشجعا على تكوين طبقة جديدة .. ربما استخدمت الاشتراكية ذاتها أداة لدعم مركزها وصرف أنظار الجماهير عن انحرافاتها » .

ولنقف قليلا أمام هذا الموقف التاريخى .. لقد كانت هناك حرية اذن ولم يكن الدكتور يفتقر الى الشــــجاعة ولكن الكاتب والمفكر فى مثل نزاهة وشجاعة الدكتور لابد وأن يصف الأشياء باسمائها ولا يمكن أن ننقد اشتراكية العالم الثالث .. بحيث ينطبق النقد على غانا أو اندونيسيا أو الجزائر أو الهند والمفكر المسئول الملتزم الذى لايخشى السلطة يكتب عن سلبيات الاشتراكية فى الجمهورية العربية

المتحدة اذا ما أراد أن يبقى مقاله للتاريخ وأن يفخـــر به ويباهى الناس •

ولا يبدأ الهجوم على الاشتراكية فى « العالم الثالث » ولا ينصب على « التفكير الغيبى » ويعـــرف الدكتور ويدرك ولاشك حساسية الامر وتعقيده •

وقد كان حريا بالدكتور الذى لايخشى فى الحق لومة لائم أن يسجل التفكير الغيبى باسمه وان يهاجمه باســــمه الصحيح هذا الهجوم الساحق •

ويعرف الدكتور جيدا أن اليمين لا يجد حجة يشرعها ضد الاشتراكية خاصة الاشتراكية العلمية أكثر من الغيبيات • ويعتقد أنه بهذا يصل الى الجماهير • ولاتبدأ الاشتراكية ابدا ولا يمكن أن تعنى استفزاز المعتقدات والمشـــاعر العميقة فى نفوس الجماهير وتخلق هوة أو تناقضا روحيـا أو فكريا فى نفوس الناس •

وتفرق الاشتراكية الصحيحة بين الخرافة والشعوذة وبين الاديان والقيم الروحية الاصـــيلة •• ولا ترى الاشتراكية تناقضا فى أن يحقق الانسان السعادة فى هذا العالم وفى العالم الآخر وهى لا ترى تناقضا فى أن يبنى المؤمنون وغير المؤمنين الاشتراكية معا •

وقد تغيرت مفاهيم اشتراكية وماركســية كثيرة حول قضايا الدين والغيبيات وذلك بعد ظهور دول العالم الثالث مهد الحضارات والديانات الاساسية والعريقة •

وقد كان دور الدين وغاندى فى تحـــرير الهند ودور الاسلام فى تحرير الجزائر واندونيســـيا ومصر ودور القسس الثوريين بل والماركسيين فى قيادة انتفاضات هامة فى أمريكا اللاتينية مما أدى الى حوار ايجابى متصـــل بين الأشتراكية العلمية وبين الغيبيات •• وقد تغير الموقف الكلاسيكى والتزمت الذى لازال الدكتور واقفا عنـــده لا يدرى ما تجدد •

وقد وصلت الثورة المصرية الى صيغة مصرية خلاقة بين الدين والأشتراكية ورأت فى الدين ثورة انســـانية وفى الاشتراكية تحقيقا لذات وروحية الانسان وسدت أى هوة يمكن أن تقـــوم •• وكان هذا اضـــافة خلاقة للدين والاشتراكية العلمية •

ولا يمكن فى الشرق العربى الذى كان مهـد الديانات العظمى فى حياة الانسانية ، اليهودية والمسيحيةوالاسلام، والذى يعيش بالحضارات وطرق الحياة التى صاغت بها هذه الديانات حياة الانسان •• لايمكن أن تبدأ الأشتراكية فيه بهجوم جارف كاسح على « الغيبيات » •

ولا يمكن لمصر منارة العالم الاســـلامى ومقر أقدم جامعاته وأعرقها والتى حفظت تراثه والتى خرجت منهـا أهم حركات الأصلاح الدينى •• لا يمكن أن تبـــدأ الأشتراكية باعلان الحرب على الغيبيات وبذلك تؤكد حجج

الرجعية وتنتهى الى الانفصام بين الاشتراكية والناس •
وحتى الماركسيين التقليديين لا يدعون الى مهاجمة الغيبيات لدى الجماهير وأن يكون هذا هو أول المهام بل يدعون الجماهير الى العلم والتعلم ويفسرون الحياة والكون تفسيرا علميا حتى تقنع الجماهير وحدها •• اذا شاءت •
وهناك جريمة من جرائم القانون العام فى كل البلاد الشيوعية وهى اهانة أو استفزاز مشاعر المؤمنين أو العدوان على دين ما أو أشياعه •

والاشتراكية لا تقوم أساسا لمكافحة التفكير الغيبى أو القضاء عليه ولكن تقوم لبناء مجتمع جديد ويظل الايمان أو عدمه قضية كل فرد على حدة • وفى كل البلاد التى اختارت « الماركسية اللينينية » تعيش الملايين المؤمنة وتمارس عبادتها فى الكنائس والمساجد والمعابد وتتعايش الماركسية والدين ولم يقل أحد أن الاشتراكية جوفاء مبتورة مثلا فى أوزبكستان المسلمة أو فى بولنده الكاثوليكية أو فى فيتنام البوذية •

ومهما يجعل الدكتور من الحرب على التفكير الغيبى نهاية مطاف الاشتراكية الا أنه يقدم وسيلة لتخفيف اضراره اذا لم يمكن الغاؤه تماما •
« من الممكن أن تخف اضرار التفكير الغيبى لو كانت الاشتراكية تقدم للناس مكاسب واضحة ، أما اذا كانت

الاشتراكية مترددة خائرة واذا كانت أمرا مشكوكا فيه على الدوام فعندئذ تستطيع الخرافة أن تطل برأسها ٠

وهذا فى أفضل الاحوال نصائح مقدمة للاشـــــتراكيين لمكافحة الخرافة ٠

وهى شروط يضعها لكى يمكن أن تخف حدة الغيبيات اذا لم يمكن القضاء عليها نهائيا ٠ وهدف الاشتراكية فى العالم الثالث يبدأ بالقضاء على الفقر والبطالة والأمية التى تولد الخرافة والاشتراكية هى تصفية النظام الذى يولد كل هذا ٠

ونقد الاشتراكية يكون بنقد جاد للتغير فى الكيـــــان الاجتماعى وبعمق واصالة التحول والتطور وبمعـــدلات التنمية لا بنقد الميتافيزيقيا ٠

واذا كان الدكتور يريد أن يوحى بأنه كان يعنى بهذا الاشتراكية فى مصر فان هذا هو نوع النقد الذى كان أبعد ما ينطبق على مصر ٠٠ والذى لم يكن أحد ليتصور فى ذلك الحين أنه ينطبق عليها بل ان هذه المبالغة والتطرف فى النقد ٠٠ كانت أفضل ما يبعد الشبهة عن انها موجهـــة الى مصر ٠

وربما كان هناك فى ذلك الحين من يعتقد أن الاشتراكية لم تقدم أى مكاسب للشعب أو ما يكفى من المكاســـــب للشعب ، ولكن لم يكن هنـــاك من يمـــكن أن يدعى بأن الاشتراكية فى مصر لم تقدم أى مكاسب للشعب أو لم

تقدم مكاسب واضحة للشعب .

وقد كان ممكنا اتهام عبد الناصر بكل التهم الا تهمة « التردد والخوار » كانت هذه آخر ما يمكن أن يوجه اليه والى سياساته فى الداخل والخارج . وقوانين يوليو الاشتراكية وما تلاها من تطبيقات هى الأولى من نوعها فى تاريخ مصر . لم تكن قوانين مترددة خائرة ولكن ضربة جذرية قاصمة . كانت نهاية العصر الرأسمالى فى مصر وبدأت السير نحو الاشتراكية بكل مصاعبه وتعقيداته .

وبالطبع كان آخر ما يمكن أن يوجه للاشتراكية فى مصر انها غيبية منافقة وقد كان عبد الناصر منذ البداية علمانيا يفصل الدين تماما عن السياسة . وعند اختيار الاشتراكية كان لديه الشجاعة أن يعلن « الاشتراكية العلمية » وهذا أول اعلان واختيار من نوعه يحكم فى الشرق العربى .

ينتقد الدكتور اشتراكيات العالم الثالث بانها «مفروضة من أعلى وليست نابعة من ثورات شعبية وهذا نقد سفسطائى وغير صحيح وكل اشتراكيات العالم الثالث كانت نتيجة ثورات وانتفاضات التحرير . وقد أخذت هذه أشكالا مختلفة فى البلاد المتخلفة ولكنها أدت الى الاستقلال وبعده كان على القيادات أن تختار بين الاشتراكية والرأسمالية .

والذين اختاروا كانوا القيادات التى منحتها الجماهير ثقتها وتأييدها لتحقق الحرية ولم يكن ممكنا أو ضروريا أن

تسقطهم لتبدأ الاشتراكية من أسفل بقيادة أخرى .

وثورات التحرير فى العالم الثالث مهما كانت اشكالها ثورات وطنية شعبية . وليس هناك شعب يتحرر وطنيا أو اجتماعيا من أعلى .

والاشتراكية تحدث تغيرات جذرية فى ملكية وسائل الانتاج وفى علاقات الانتاج وتقاس الاشتراكية بسلامة وعمق هذه التغيرات كيفما تمت وهى تتم دائما بقيادة الطليعة الثورية التى تمثل الشعب وتتمتع بثقته .

واذا كان الدكتور يريد أن يوحى أنه يعنى التجربة الناصرية ، فلا نظن ان كانت هناك تجربة فى تاريخ مصر لقيت « الشعبية » التى تمتعت بها التجربة الناصرية حتى يوم ذهب عبد الناصر . ولم يكن حقا وعدلا أن توصف أنها مفروضة من أعلى لم تنبع من الشعب وعاشت منفصلة منفصمة عنه .

والتجربة الناصرية هى استمرار للثورة المصرية عامة ولكل ثورات مصر وكانت ذروة الثورة الوطنية وبداية الثورة الاجتماعية ولم تكن الاشتراكية غريبة أو غائبة عن الثورة المصرية منذ بدايتها المبكرة . وكانت الثورة الاجتماعية حادة ملحة فى مصر . ولم يفرض عبد الناصر الاشتراكية من أعلى ولكنه حقق مطلبا كان قد نضج تماما فى نفوس الجماهير وأصبح مطلبا أساسيا . والطليعة الثورية تتخذ قرارات حاسمة هى استجابة لارادة الجماهير .

وقد باركت الجماهير قوانين يوليو كأمنية عميقة عاشت زمنا في نفوسها وأحاطتها بحماسها ولاتزال تحميها ولهـذا لم تفرض الاشتراكية جوفاء مبتورة عقيمة من أعلى علـى المصريين كما نفى ذلك تماما وبنفسـه الدكتور فؤاد زكريا !

ولكن لو كان صحيحا أن الدكتور الشـجاع أراد في ذلك الحين كما لم يستطع أحد من نقاده أن يقول ان هـذه « اشتراكية غيبية انتهازية منافقة نفاقا رخيصا وانها جوفاء مبتورة لا تقدم مكاسب للناس وهي مترددة خائرة مفروضة من أعلى وليست نابعة من ثورة شعبية وتفتقر الى الأصالة الثـورية ووقعت في يـد طبقـة جـديدة انحـرفت بها وتستخدمها » • فقد كان عليه بعد هذا مباشرة أن ينفض يديه تماما وأن ينضم للمقاومة ضدها •

كان لابد لهذا المقال أن يكون مقرونا بخطاب استقالته من رئاسة تحرير مجلة الفكر المعاصر « الناصرية » وأن تكون هذه حيثيات الاستقالة •

ولم يكن ممكنا أن يخرج على الناس بعد ذلك بشـهر واحد ببحث طويل وتحليل « علمي أمين موضوعي » ينتهي فيه الى نظرية جديدة هي « نظرية الامتلاء ضد نظـرية الفراغ » ثم أن يسمح لنفسه أن يصدر الوثيقة الفكرية التي قدمت تقييما دقيقـا للثورة بكل جوانبها في العـدد الخاص من الفكر المعاصر •

ولقد نعى الدكتور على الشيوعيين أنهم تولوا المناصب الأن « لب المشكلة » أن تولى اليساريين للمناصـــب معناه انهم أصبحوا يسيرون فى طريق غـــير ذلك الـــذى نذروا أنفسهم له وأن ارتباطهم بالسلطة وتكونهم جزءا منها كان معناه تقديم تنازلات قد تكون بســـيطة فى النهاية ولكنها تزداد بالتـــدريج الى أن ينتهى الأمر الى مرحلة التبرير المطلق لكل الأخطاء » ••• ولكن الدكتور لا يخضـــع لكل هذه الاعتبارات وهو فوقها جميعا !!

وليس تناقضا قط أن يقول فى اكتوبر ١٩٧٠ شيئا ضد ما يقوله فى نوفمبر ١٩٧٠ وأن يقول فى ١٩٧٠ عكس مايقوله ســـنة ١٩٧٥ •

وراء النقـــد

ونقد اشتراكية العالم الثالث ووصـــفها بأنهـــا غبية ومترددة خائرة وانها من أعلى وانها تنتهى الى يد الطبقة الجديدة صيغ معروفة ومنقولة ولها أصل !

وبظهور العالم الثالث ظهرت مدارس أوروبية جديدة متخصصة فى مشاكل العالم الثالث وكانت تضم فرقا من المفكرين والسياسيين الأوروبيين وكان أكثرهم امتـــدادا فى شكل « يسارى » لعقد السيادة الأوروبية القديم وقد أرادوا فرض نوع من الوصاية الفكرية والسياسية عـــلى التجارب الجديدة الاشتراكية • ولهذا استغرقوا فى النقد والتقييم •

ومعظم هذا النقد كان نظريا مكتبيا وبعيدا عن الواقع العام لبلاد العالم الثالث وعن الواقع الخاص لكل بلد فيه• وكان بمقاييس مســـتمدة فى أغلب الأحيان من الواقـــع الأوروبى •

ولهذا كان نقدا يوجـــه الى كل تجـــربة وأى تجـــربة وبنفس التهم وهى « الغيبية والتردد والفرض من أعلى والطبقة الجديدة » حتى أصبحت مكررة معادة !

وهناك سيل من الكتب والنشرات والأبحاث تحوى آراء الدكتور حرفية وموجهة الى الهنـــد والى الجزائر والى مصر والى بيرو بلا تفرقة • وهو قد كان له الفضــــل فى النقل والتباهى فقط •

وبعض هؤلاء الاساتذة الغربيين كانوا أســـاتذة فقط مهما تكن آراءهم أو كانوا باحثين عن أدوار أو مناصب فى العالم الثالث • ولكن كثيرا منهم أيضا لم يكونوا بهـــذه البراءة • وكانت هناك أجهزة كبيرة تعمل تحت شـــعارات متطرفة أشد التطرف فى العالم الثالث ومهمتها أن تدفع التجارب الاشــــتراكية الى الكارثة عن طــريق الاندفاع والمغامرة وذلك بأن تشن الحرب مثلا على الغيبيات أو أن تتخذ خطـــــــــوات متعجلة لا تتفق والواقع أو بأن تثير الشـــك والصراع الحاد فى صــفوف الاشتراكيين لتتعثر التجربة حتى تسقط •

ويضع هؤلاء دائما مسوح الأســـاتذة الذين يريدون ثورات نموذجية كاملة فى العالم الثالث كما لم تحدث فى مكان آخر وينقل عنهم كثيرون بسلامة أو بسوء نية •

والنقد الحقيقى للاشتراكية فى أى بلد هو نقد الواقع نقدا علميا لا نقل الصيغ وادعائها مع تســـمية الأشـــياء بأسمائها وذكر المراجع والمصادر أيضا !!

ويسأل الدكتور فى النهاية « كيف كان يكتب نقادى » •

والدكتور يعانى من « نرجسية بالغة » منذ أول كتاباته ولا يقوى أحد سواه على هذا الافتتان بالذات •

ولكن لو كلف الدكتور نفسه بمراجعة بعض الجـرائد والمجلات أو بعض الكتب والدراسات التى كتبها الـذين يهاجمهم •• لبرد الكثير جدا من زهو الطاووس •

وهؤلاء دفعوا ثمنا غاليا لما كتبوه • ولم يصل معظمهم الى رئاسة تحرير أو رئاسة قسم بل منهم من فقد هـذه المناصب ولكن كان لديهم النزاهة والموضـوعية والشرف لكى يقولوا الحقيقة دائما •

وهذه هى اخلاقيات المفكرين •

وهى أيضا أخلاقيات المواطن العادى •

قائمـــة
مطبوعات مكتبـــة مدبولى
٦ ميدان طلعت حرب بالقاهرة
تليفـــون ٩٧٥٤٢١

اسم الكتـــاب	اسم المؤلف	الثمن مليمــجنيه
اللينبى فى مصر ـ تاريخ مصر من مارس ١٩١٩ الى نوفمبر ١٩٢٥	الجنرال ويفـــل	٣٥٠ر—
محنه الدستور تاريخ مصر من ١٩٢٣ الى ١٩٥٢	محمد زكى عبد القادر	٧٠٠ر—
تاريخ الأحـــزاب والحياة النيابية فى مصر ١٨٦٦ ـ ١٩٥٢	جاكوب لانـــدو	٢٠٠ر١
فى أصـــول المســـألة المصرية	صبحى وحيدة	٢٠٠ر١
سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية	د . عبد الخالق لاشين	٥٠٠ر٢
الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر	د . عبد العظيم رمضان	٧٠٠ر—
من الذى كان يحكم مصر	محمود مراد	٦٥٠ر—
عبد الناصر المفترى عليه	حسنين كروم	٥٠٠ر—
التلمود » شريعة بنى أسرائيل »	محمد صبرى	٣٠٠ر—

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الثمن مليم جنيه
قضايا فى التاريخ الاسلامى	د . محمود اسماعيل	٧٥٠ر—
حرب أكتوبر فى الميزان العسكرى	الفريق صلاح الحديدى	٧٠٠ر—
حراس البوابة الشرقية	جمال الغيطانى	١ر٢٥٠
الزينى بركات	جمال الغيطانى	٧٠٠ر—
الصومال أرض البخور والعطور	مجدى نصيف	١ر٠٠٠
المذاهب الفلسفية المعاصرة	سماحة رافع	٦٠٠ر—
قاموس مصطلحات علم النفس	عبد المنعم الحفنى	٢ر٧٥٠
لغتنا الجميلة	فاروق شوشة	١ر٢٠٠
مقامات بيرم التونسى	بيرم التونسى	١ر٥٠٠
يا عرب	بيرم التونسى	٣٥٠ر—
على باب الجامع	بيرم التونسى	٣٥٠ر—
شمس الاصيل	بيرم التونسى	٣٥٠ر—
ازهار واشواك	بيرم التونسى	٣٥٠ر—
اسماء لامعة	مفيد فوزى	٦٠٠ر—
اغرب التجارب الانسانية	منير عامر	٤٠٠ر—
من حلو الكلام فى المرأة	سيد شلبى	٤٠٠ر—

اسم الكتاب	أسم المؤلف	الثمن مليم جنيه
ضحكات وتسالى	سيد شلبى	٤٠٠ر—
الدعاء والاجابة	فؤاد على رضا	٧٠٠ر—
اعترافات عشاق	د . مصطفى محمود	١ر٠٠٠
ليوناردو دافنشى	سيجموند فرويد	٥٠٠ر—
البكاء بين يدى زرقاء اليمامة	أمل دنقل	٤٥٠ر—
فى البدء كان الحب	محمد الجيار	٨٠٠ر—
أحلى ٢٠ قصيدة حب	فاروق شوشة	٨٠٠ر—
سلوى	صالح جودت	١ر٠٠٠
أحمد اسماعيل	الابنودى	٢٥٠ر—
أنا والناس	الابنودى	٢٥٠ر—
جوابات حراجى القط	الابنودى	١٥٠ر—
عماليات	الابنودى	٥٠ر—
الفصول	الابنودى	١٥٠ر—
أيام الجفاف	محمد يوسف القعيد	٤٠٠ر—
الالياذة	هوميروس	٣٠٠ر—

طبع بمطابع مؤسسة روز اليوسف

رقم الايداع ٧٦/١٩٧٠

الترقيم الدولى ٩ ـ ٠٠٤ ـ ٣٢١ ـ ٩٧٧ IEBN

مطـــــابع
مؤسسة
روزاليوسف



هذه الحملة الظالمة والمتجنيـة على عبد الناصر ليست حملة عـلى شخصه وانما على مبادئه وتراثه وكل ما يمثله .

وهى أولا وأخيرا حملة على الثورة لحساب قوى الثورى المضادة .

وهى حملة على الاشتراكية لحساب الرأسمالية والاستغلال .

وهى حملة على السيادة والوطنية لحساب التبعية والاستعمار الجديد.

وهى حملة على القومية العربية لحساب الرجعية والاقليمية .. وكل الاعداء التاريخيين للعرب .

ومهما استأسدت الا أنها تظل حملة مفلسة وخاسرة .. محكوم عليها .. ضد مصر وروح العصر وطبيعة الاشياء .

وقد يقوم بها كتاب وصحفيون مدانون ، وقد يقوم بها مشحوذون يتسترون بالدين أو أساتذة ودكاترة باسم العلم والمنهج . ولـكن لا يغير هذا شيئا . ولا تختلف النتيجة .

والشعب بفطرته ووعيه يعـرف أبناءه وأبطاله .. ولا ينخدع .

وفى هذا العصر لا يستطيع أحد أن يزيف كل الحقائق لكل الوقت على كل النـــــاس .. مهما كانت موارده أو مواهبه .. !



الثمن ٦٠ قرشا

مطابع مؤسسة روز اليوسف